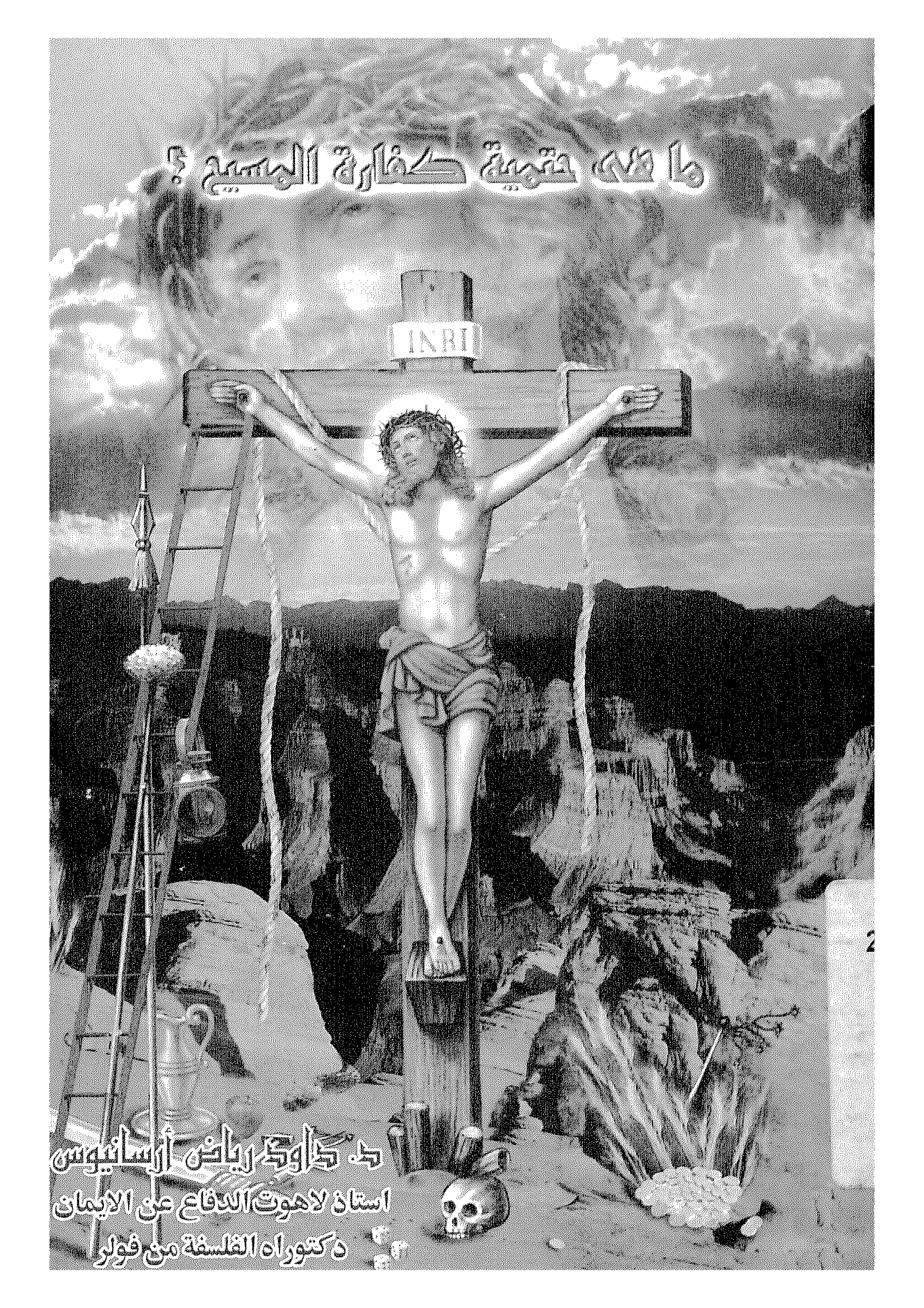

ما هى حتمية كفارة المسيح ؟
INRI
د. داود رياض أرسانيوس
استاذ لاهوت الدفاع عن الايمان
دكتوراه الفلسفة من فولر

ماهى حتمية كفارة المسيح؟

د. داود رياض أرسانيوس
استاذ لاهوت الدفاع عن الايمان
دكتوراه الفلسفة من فولر

الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة
٧ ش الشيخ ريحان – جاردن سيتى

رقم الإيداع بدار الكتب : ٧٠١١ / ٢٠٠١

دار الطباعة القومية بالفجالة

٥٩٠٥٤٨٦

الفهرست

تقديم

شخصية المسيح من أكثر الشخصيات التي دار حولها جدل عنيف لم تنطفئ جذوته على مدار ما يقرب من ألفى عام، فقد كانت ولادته محل أسئلة وجدال، وكانت حياته مثار تعليق ونقاش، ثم أصبح موته تحوُّلا في مسار البشرية الفكري والاعتقادي، وبسببه قامت الدنيا ولم تقعد حتى الآن.

وكان من المتوقع أن تهدأ عاصفة الحوار حول شخصية المسيح الذي فيه نرى كمال البشرية، وكمال الألوهية، بانتشار أسفار العهد الجديد، واعتبار كلمتها كلمة الفصل في الجدل القائم. غير أن طبيعة البشر التي فُطرت على الخلاف والاختلاف، أبت إلا أن تفكر، ثم تنظر وتفكر، فمنها من آمن، ومنها منْ أصرَّ واستكبر.

وعقدت المجامع الكنسية وخرجت الفرمانات تحسم الموقف، وما له من حاسم! والبشرية مختلفة منقسمة ومازالت!!

وإذا كانت حياة المسيح ومعجزاته لم توجّه الفكر البشري إلى اتجاه واحد، ولم يكن صلبه وتألمه دافعاً لهذه الوحدة، ولم تفلح كتابات تلاميذه وشهود العيان في تحقيق الخلاص للبشرية جمعاء، فنحن لا ندَّعي للبحث، ولا نطمع للدراسة أن تحقق هذا، بل حسبنا أنه جهد نضعه أمام ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، شهادة لنا قبل غيرنا. رافعين صلواتنا أن يكون بركة لمن يقرأه، وأن يهدينا سواء السبيل.

مقدمة

هذا الكتاب يُبسّط الإجابة على السؤال الأساسي: لماذا كانت الكفارة أمراً حتمياً؟ وفي نفس الوقت يقدم الإجابة المُبسّطة عن ماهية الخطية، ولماذا أجرة الخطية موت؟ وهل هناك دواء للخطية؟ ولماذا كان العلاج من خلال الكفارة؟

ثم ينتقل في الفصل الثاني للإجابة على أهم التساؤلات حول الكفارة، وما هو المطلوب لغفران الخطية؟ ولماذا تعجز أعمالنا عن تحقيق الكفارة والغفران؟ وما هي درجة القداسة المطلوبة للوجود في حضرة الله؟ وما هي حتمية الكفارة؟ وكيف قدم الله العلاج عندما عجز البشر عن التكفير عن خطاياهم بأنفسهم؟

وفى الفصل الثالث الإجابة على السؤال: هل توجد أدلة نقلية على صلب المسيح؟ وما هي شهادة التوراة والإنجيل؟ وهل من براهين أخرى تاريخية ونقلية بالتواتر(النقل الشفوي)؟ وهل من أدلة أخرى من خلال المستندات الرومانية وغيرها؟

أما الفصل الأخير فيقدم الأدلة العقلية من ناحية الإشكالات المنطقية، وشهادة بعض العلماء غير المسيحيين، مع تناول سريع لقضية القبر الفارغ والكفن المقدس كإثباتات باقية لليوم، ولكن طوبى للذين آمنوا ولم يروا، فنحن نعتمد على الإيمان أكثر من أي دليل منطقي عقلي.

ولا يفوتني أن أشكرالدكتور القس منيس عبد النور الذي لم يراجع هذا الكتاب فحسب بل هو الذي علمني لاهوت الدفاع عن الإيمان منذ البداية، وأطلب من الله أن ينجح هذا الكتاب في هذه الصورة المُبسّطة فى الإجابة الواضحة على أهم التساؤلات حول لزوم كفارة المسيح كالطريق الوحيد للمصالحة مع الله.

دكتور داود رياض

الفصل الأول

ما هى الخطية فى الفكر المسيحى؟

١ - ما هي الخطية في لغات الكتب الدينية؟

نبدأ بتوضيح معنى الخطية في اللغة العربية، ثم في العبرية واليونانية:

الخطية في اللغة العربية:

يوضح قــاموس البستان معنى الخطية ومرادفاتها على النحو الآتي:

خطئ : تعمد الذنب أخطأ: أصاب الذنب على غير عمد

أخطأ الهدف: أنه لم يصب الهدف والخاطئ : من تعمّد لما لا ينبغي

الآثم : المذنب الشر : اسم جامع للرذائل والآثام

والخطية كما وردت في الأصلين العبري واليوناني تحمل المعاني التالية:-

١ -الخطية: ومعناها عدم إصابة الهدف. فلكلٍّ منا هدف خلقه الله لأجله. وعندما لا نصيب هذا الهدف ولا نمجد الله نكون بذلك قد أخطأنا إليه .

٢ - الإثم : ويُقصد به عدم البِرّ وعدم الاستقامة. إنها ترينا عَوَجَ البشر الذين لا يسيرون في الطريق المستقيم الذي هو طريق البِرّ .

٣- الشر : ويُقصد به التعدّي وتخطّي الحدود التي رسمها الله لنا. فقد نشأنا وفينا دوافع وميول لها حدود مقدَّسة، ومتى تعدَّينا هذه الحدود نكون قد فعلنا الشر، فعندما يتحول النظر البريء إلى شهوة، وحُبّ الاستطلاع إلى تطفل، نكون بذلك قد تعدَّينا الحدود المقدسة التي رسمها الله .

٣- المعصية: وهي الثورة على الله. العصاة هم المستهزئون الذين سخروا بالله واحتقروا كلامه. وفيما عدا " المعصية" فإن الأنواع الثلاثة الأخرى، يمكن أن تكون خطايا سهو أو خطــايا عمد. وخطــايا السهو هي التي رُسمت لــها

كل الشرائع والذبائح في التوراة. أما خطايا العمد فلا تقبل التوراة لها كفّارة. قال داود النبي: "لأَنَّكَ لا تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ، وَإِلا فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لا تَرْضَى" (مزمور ٥١:١٦). فخطايا العمد لا يُكفرُّ عنها فقط بالذبائح بل بالقلب المنكسر والروح المنسحق أمام الله، ولذلك صلى داود النبي: "امْحُ مَعَاصِيَّ، اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي" (مزمور ٥١:١و٢).

يحدثنا سفر الخروج ٣٤:٧ عن الله أنه: "غافر الإثم والمعصية والخطية"، مما يرينا ثلاثة أنواع: إثم، ومعصية، وخطية. ويصوّر لنا المزمور الأول "الرَّجُل الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ، وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ، وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ " (مز١:١). ونرى هنا ثلاثة أنواع وهي: الأشرار، والخطاة، والمستهزئين. يُقصَد بالمستهزئين "العصاة" الساخرين بشريعة الله.

٢ – ما هى الخطية فى علم النفس؟

كلمة "خطية " تعبير فقهي لاهوتي، وليست تعبيراً من علم النفس، لأن الخطية ترتبط بالسلوك الأخلاقي للإنسان، بينما يهتم علم النفس بدراسة "الذنب " والإحساس به، الذي يلعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان العقلية، سليمة كانت أو مريضة .

هل يُبرّر علم النفس الخطية؟

يقول بعض البسطاء إن علم النفس يبرِّر الخطية. وليس هذا صحيحاً، فعلم النفس لا يحل محل الدين، وإنما هو وسيلة يستخدمها الدين لتوضيح أغراضه. يعاون علم النفس الدين في فهم الأسباب الدافعة للخطية، فبينما يكشف الدين النقاب عن "الخطأ"، ويوضح أن الخطية هي: "الانفصال عن الله"، يكشف علم النفس النقاب عن الأسباب التي دفعت المُخطئ لهذا الخطأ".

٣- كيف دخلت الخطية إلى العالم؟

الخطية ظاهرة في تاريخ البشر، يقرّ بها كل إنسان يفحص نفسه بأمانة أو ينظر إلى غيره، لأن جميع البشر، حتى الذين لم يتلقّوا نور إعلانات السماء يشعرون بخطاياهم، ويقرّون بنقصهم وعجزهم عن القيام بما كلّفهم الله به.

وليست الخطية هي الشر الفاضح فقط، بل هي أساساً الانفصال عن الله خالقنا والهدف الوحيد لنا. وهذا الانفصال لا يكون بارتكاب الشر فحسب، بل هو أيضاً عدم فعل الخير. وقد عُرف بالاختبار أن الإنسان " الطبيعي " لا يستطيع أن يميّز قوة الخطية وشدة فعلها في البشر كما يُميّزها الإنسان "الروحي"، الذي أدّبته شريعة الله وقادته إلى المسيح، فأعطاه النعمة ليعرف حقيقة الخطية وأثرها في جرّ الإنسان إلى حال الفساد، وتبعاً لذلك صار يشعر بالحاجة إلى معونة النعمة الإلهية. (وإلى دم الكفّارة لأجل تبريره).

والخطية بوجه عام هي التعــدّي (١يوحنا ٣:٤) على شريعة الله، فهي جُرْمٌ بحق الله، مهما كان عذر مرتكبها، وأياً كان حجمها. (وسنوضح ذلك في هذا الفصل).

فكل إنسان خاطئ فاسد بطبيعته، وأيضا خاطئ فاسد بأعماله. على العموم قد وُجد بالدليل العملي أن الجميع أخطأوا، فلو فُرضَ (جدلاً) أنه لا توجد خطية أصلية، فقد وُجد عبر التاريخ أن النفس أمارة بالسوء، فكل بني آدم خطّاؤ، وكل البشر فسدوا معاً، " ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد " (رومية٣: ١٢).

فكيف دخلت الخطية إلى العالم؟

إن "تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته" (تكوين ٨: ٢١). وقال الرسول بولس: " بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ

الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاس إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ " (رومية ٥:١٢). وهذا يعني أن الخطية بدأت في عالمنا بآدم أب البشر. ويعتبر بولس أن آدم وحواء واحد يمثل البشرية كلها، فيقول: "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ" معتمداً على قول موسى: " ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُ " (تكوين ٥:٢). ولم يذكر الرسول بولس تجربة الحيَّة، ولا معصية حواء، لأن غايته أن يبيّن أن آدم كان في ما فعله نائباً عن كل نسله.

٤ – كيف انتقلت الخطية؟

لا يمكن للكائن الحي أن يلد كائناً مغايراً لــه، فالــثور لا يلد حملاً. وقال المسيح: "هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَباً أو مِنَ الْحَسَكِ تِيناً؟ " (متّى ٧:١٦). وهذا القانون ينطبق على الإنسان، فآدم أب البشر فقدَ بعصيانه حياة الاستقامة، والنتيجة أنه طُرد من فردوس الطهر إلى أرض لعنها الله بسبب الخطية. وعلى الأرض أنجب آدم نسلاً كان بالطبيعة مطروداً، فــاقداً ميراثه في الفردوس. ويقول النبي داود : "بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي " (مزمور ٥١:٥). وقال الرسول بولس: " لَيْسَ بَارٌّ وَلا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ الله. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاحاً لَيْسَ وَلا وَاحِدٌ " (رومية ٣:١٠-١٢).

وشرح القديس أغسطينوس تعاليم الكتاب المقدس في السقوط، فــقال :

١. خلق الله الإنسان على صورتـــه [في المعرفـــة والبر والقداسة].

[كان آدم مختـــاراً خـــالداً، وخوّله الله سلطاناً على الخلائق مع القدرة عـــلى اختيار الخير والشر، وإثبات طبيعته الأخلاقــية"].

٢. ترك الله آدم لحرية إرادته، ولما جرَّبه إبليس أخطأ إلى الله وسقط من حالة البراءة التي خُلق عليها.

٣. نشأ عن معصيته ضياع الصورة الإلهية وفساد طبيعته كلها، حتى صار ميتاً روحياً، لا يميل إلى الخير الروحي، وعاجزاً عنه ومضاداً له. وصار أيضاً قابلاً للموت جسدياً، وعُرْضة لكل سيئات هذه الحياة والموت الأبدي.

٤. الاتحاد النيابي بين آدم ونسله هو علة ما حلَّ بهم من نفس نتائج المعصية التي حلَّت عليه، فإنهم يولدون خالين من صورة الله، فاسدين أخلاقياً، وفي حال الدينونة [راجع رومية ٥:١٢-١٩] .

٥. لم يرث الإنسان طبيعة فاسدة فحسب[1].

٦. ضياع البرّ الأصلي وفساد الطبيعة، اللذيْن نتجا عن سقوط آدم، وهما عقاب لخطيته الأولى[2].

٧. التجديد، أو الدعوة الفعّالة، هو عمل الروح القدس العجيب الذي تكون فيه النفس مفعولاً لا فاعلاً. ويتعلّق كله بإرادة الله. فيلزم عن ذلك أن الخلاص هو من نعمة الله. [والنعمة هي عطية مجانية، من شخص قادر لآخر عاجز، وفي نفس الوقت غير مستحق] .

٥- ما هي أجرة الخطية؟

قال الله لآدم: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ" (تكوين ٢:١٧). ونقرأ أيضاً في (حزقيال ١٨:٢٠) "اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ" ، ونقرأ في رسالة (رومية٦: ٢٣) " أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ". وقد مات آدم وحواء روحياً، حين سقطا وانفصلا عن الله،

---

[1] بل أخطأ بأعماله وأفعاله كما ذكرنا.

[2] يمكن أن نقول إنه نتيجة طبيعية وليس مجرد عقاب.

وفقدا تلك الشركة الروحية المقدّسة مع الرب الإله. وتبعـاً لذلك فقدا الشوق للمثول في حضرته، فاختبأ آدم وحواء من وجهه في وسط أشجار الجنة (تكوين ٣:٨). ولابد أنهما شعرا بالضعف الجسدي والمرض والانحلال، فتذكرا إنذار الرب: " يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ ". ومن المروّع أن يرتسم عقاب عصيان آدم أمام عينيه!

ولكن هل خسرت العائلة الأولى كل امتيازاتها؟ وهل ضاع الرجاء في عودة الإنسان إلى الفردوس الذي فقده بسبب الخطية؟ وهل انتُزعت منه طهارته إلى الأبد؟ كلا! لأن الله محب. إنه هو ذاتـه محبـة، ومحبته غنية، وعنده غفران كثير، بل هو مصدر الغفران، وهو الذي لا يُسرّ بموت الخاطئ،فأخذ المسيح دور المنقذ الفادي، الكلمة الذي كان في البدء عند الله.

وأول ما صنعته محبة الله هو ستر عري آدم وحواء بلباسٍ خاصٍ من تدبيره الصالح. إنه "لباس التقوى"، "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإلهُ لآدَم وَامْرَأَتِه، أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا" (تكوين ٣:٢٠). وبذلك كرّس الرب الإله عهد الكفّارة، ثم أعطى لهما الله "كلماتٍ" هي الوعد بمجيء المسيح، نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية (تكوين ٣:١٥). (يمكنك الرجوع للسقوط والخطية في "علم اللاهوت النظامي").

٦- لكن لماذا أجرة الخطية موت ؟

قد لا تحتاج إلى تعقيم الماء قبل أن تشربه. وقد تتهاون مع قـليل من الغبار في الماء لو كنت في شديد العطش. لكن مهما عظم عطشك فـإنك لا تتهاون مع السم!

وإذا كان عندك كأسان من الماء بأحدهما نقطة واحدة من سم قـاتل، وبالآخر

عشر نقاط من نفس السم، فإنك لا تفضل أحدهما على الآخر، فبالكأسين سم قـــاتل .

هذا المثل يوضح لماذا يقول الله: " مَنْ عَثَرَ فِي وَاحِـدَةٍ، فَـقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُـلِّ " (يعقوب ٢: ١٠). فالخطية ليست مجرد غبار، بل هي أكثر ضرراً من السم نفسه! حتى أن الرسول بولس عبَّر عنها وعن خطورتها وشرها بالقول: "الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةٌ جِدّاً " (رومية ٧: ١٣). فالخطية مهما صغُرت تفصل الإنسان عن الله، لأنها لا تتفق مع قداسة الله، فهو لا يطيق الإثم، فمع محبته للخاطئ إلا أنه يكره الخطية. والانفصال عن الله هو الموت الروحي .

٧-هل تتناسب قوة الدواء مع درجة الداء؟

من البديهي أننا نحتاج لدواءٍ يناسب الداء، وكلما تفاقمت حالة الداء احتجنا لدواءٍ أقوى وأنسب، وتكمن خطورة الخطية في أنها موجَّهة ضد الله نفسه. يُخطئ الإنسان في حق من هو أقل منه. وهذا أسهل من أن يخطئ في حق شخص مساوٍ له. كما أن هذا أسهل جداً من ارتكاب الخطأ في حق من هو أعلى منه. فـــالأمر يزداد خطورة عندما يُخطئ العبد في حق السيد أو الرئيس أو الملك. وهذا ما حدث، فالخطية هي خطـــأ العبد ضد ملك الملوك، والسيد الأعظم وهو الله. ومن هنا تظهر خطورة الخطية التي يرتكبها هذا الإنسان العبد في حق سيد الكون.

ونضرب لذلك مثلاً للتوضيح : لو أن هناك ملكاً في موكبه وحاول أحد العبيد ضربه بشئ، فإنه يعاقبه على مجرد المحاولة، فسواء نجح في محاولته أو لم ينجح ففي الحالتين يُعاقَب على مجرد المحاولة . فتكمن خطورة الخطية في أنها موجَّهة ضد الله ، الـــذي لا نهاية لعظمته ومجـــده ، فالعقوبة

المستحقة عنها هي عقوبة لا نهاية لها، فليس من الغريب أن يقول لآدم، إنه يوم يأكل من الشجرة التي نهاه عنها " مَوْتاً تَمُوتُ "، فهي نتيجة حتمية.

٨- هل هناك دواء للخطية؟

لابد أن تتناسب قوة الدواء مع درجة الداء، وحتى لو كان هناك مرض قاتل فقد يكون له علاج، ولو كان الأمر كذلك، فإن الطبيب يمكنه أن يصف حالة المريض وخطورة المرض، ولا يخفي أي جانب فلابد أن يقتنع المريض أنه إن لم يُعالج فالأمر خطير. وبعد أن يصوّر هذه الصورة المظلمة، فإنه يستطيع أن يكشف عن العلاج.

ويقول أحد الأطباء إن المشكلة تبدأ إن لم يكن هناك أي علاج لهذا المرض الخطير، وهنا قد يستخدم الطبيب ألفاظاً مبهمة أو دبلوماسية، لأنه لا يستطيع أن يقدم علاجاً ناجحاً، وأنه لا أمل في الشفاء.

لذلك فإن كلمة الله تصف حالتنا بوضوح، لا لبس فيه، فهي تعرّفنا أننا خطاة، وأننا أموات بالذنوب والخطايا، ونستحق الموت الأدبي والروحي وليس الجسدي فقط ، فكلمة الله تعلن لنا شرنا بوضوح، لأنها تقدر أن تحل مشكلة خطايانا في كفارة المسيح.

كثيرون يخففون من شأن الخطية، وينسبون السبب للبيئة أو لأي ظروف أخري خارجة عن إرادة الإنسان، فهو غير مسئول عنها ، لكن كلمة الله تعلن بصراحة ووضوح أننا خطاة عاجزون عن حل مشكلة الخطية، فنحن نحتاج إلى من يكفّر بل ويموت عنا.[3]

---

[3](راجع عبرانيين٥: ١٠، وأصحاح ٧ كله فلنا رئيس كهنة قد مات عنا ويستطيع أن يخلصنا).

الفصل الثاني

الكفارة في المسيحية

وفي هذا الفصل سنتناول الأسئلة الهامة كما يلي

١ – ما معنى كفارة للخطية؟

كلمة " كفّارة " في أصلها العبري تعني ستر أو غطاء، فكان لابد من كفّارة تستر خطية الإنسان وعريه. وهي تحمل معنى الترضية وإزالة الأحقاد بعد دفع تعويض.

أما في اللغة العربية فالمعنى هو الإنقاذ وليس بدون مقابل، بل بتقديم التضحية اللازمة، وفي قاموس المحيط " فداه" أي دفع شيئاً فأنقذه، ومن ثَمَّ قد يكون اشتراه ثانية. (راجع كتاب "كفارة المسيح" ص٧٠و٧١).

ومن أهم معاني الكفّارة المصالحة ، فهي في الأصل (الأنجلوساكسوني) تعني المصالحة (at-one-ment = atonement) أي يصالح الاثنين إلى واحد.

بالإضافة إلى معانٍ أخرى (في اللغات الأوروبية)، كاسترداد الشرف المُعتدى عليه، أو إطلاق سراح الأسير، أو استعادة الشيء المرهون، أو إنقاذ شخص من أزمة أو موت – وكل ذلك بواسطة تضحية أو مجهود ما.

والخطية خطيرة تستوجب الموت، وتحتاج إلى كفّارة أو ستر كافٍ. تُرى ما هي الكفّارة الكافية التي ترضي الله، وتبرر الإنسان أمامه ؟؟ وهل تكفي أعمالنا للتكفير عن خطايانا؟

١- هل للعبد فضل لأنه فعل ما أُمر به؟

قد نتصور أن للعبد فضل إذا فعل ما أُمر به ولا يعترض البعض على هذا الفكر، بل لعله يؤيّده، إذ يقول أحدهم: إن دلالة هذا المعنى ظاهرة والبرهان العقلي يؤيّد ذلك أيضاً، لأن فعل العبد يتوقف على الإرادة. وتلك الإرادة مخلوقة لله فإذا خلق الله تلك الإرادة أطاع، (وإذا لم يخلق تلك الإرادة عصى). فطاعة العبد من الله ومعصيته أيضا من الله. وفعل الله لا يوجب على الله شيئاً البتة فلا الطاعة توجب الثواب، ولا المعصية توجب العقاب، بل الكل من الله بحكم ألوهيته وقهره وقدرته(هذا هو فكر القدرية).

لكن هذا الفكر يتعارض مع فكر الكتاب المقدس. الذي يُحتّم ذبيحة كفّارة للغفران. وقد عُرف هذا الوجوب منذ البدء إذ نرى خيطاً قرمزياً يخترق الكتاب المقدس وهو يقطر دماً. ونقرأ في رسالة العبرانيين: " بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ " (عبرانيين٩: ١٢).

الواقع أن الله لكونه كاملاً، لا يصح لمشيئته أن تغفر لإنسان ذنبه، على حساب حقه وعدله، الذي قال : "النفس التي تخطيء هي تموت " وإذا غفر لنفس خاطئة، وجب أن يكون هناك سبب للغفران، سبب يكون فيه ترضية للعدل. وهذه الترضية كانت في العهد القديم تتم بتقدم ذبائح حيوانية: تيوس وعجول وخراف وكان الله يقبلها لأنها كانت ترمز إلى ذبيحة المسيح التي قدمها في النعمة فوفّت العدل الإلهي إلى الأبد وأكملت كل المقدسين فتم ما قيل في المزمور: "الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْـتَقَيَا. البِرُّ وَالسَّلامُ تَلا ثَمَا" (مزمور٨٥: ١٠).

٣- ما هى الخطايا التى لا تغفر؟

ترجع هذه الفكرة أو العقيدة إلى العصور الوسطى ولكن حالياً يقولون إن المشرك محروم قطعاً من رحمة الله، لأن الشرك ضلال بعيد. وقال بعضهم إن هذه الفكرة في حق أناس كانوا يعبدون الملائكة، وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله. ويقول الرازي: إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسموا الملائكة تسمية الأنثى. وقال: مفسرون آخرون: إن هذه الفكرة في حق قوم كانوا يعبدون الأصنام، وكان في كل واحد منهم شيطان يكلمهم[٤]. وقالوا: إن المرتد يكون فاعلاً الزيادة، أو أن يقيم ويصر والإصرار كالزيادة، وقد يكون فاعلاً للزيادة بأن يضم إلى ذلك الكفر كفراً آخراً، وقال القفال وابن الانباري: إن من كفر مرة أخرى بعد تلك التوبة فإن التوبة الأولى تصير غير مقبولة، وتصير كأنها لم تكن.

٤-هل تعجز الأعمال عن تحقيق الكفارة والغفران؟

أولاً: هل يمكن للأعمال الصالحة أن تحقق الكفّارة؟ هل الصوم والصلاة والصدقة...الخ، كافية لأن تمنح فاعلها عفو الله وغفرانه؟ وهل يمكن أن تتحقق الكفّارة؟

إذا تبرع مجرم يستحق الموت (حسب القانون) بمبلغ كبير، لبناء مستشفى أو لعمل خيري ككفّارة عن جُرْمه، فهل يُرضي هذا قاضياً عادلاً، فيقبل هذا التبرع كفّارة عن الخطأ؟!

فلماذا نقول إن القاضي يرفض مبدأ إن الأعمال الصالحة تعادل وتعالج الأعمال السيئة ، ثم نقول بقبول الله لـذات المبدأ ؟ وهو العادل الأعظم بجانب

---

[4] (راجع الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية أو مصادر الإسلام).

كونه الرحمن الرحيم. فهل تطغى رحمة الله على عدله؟!

بدلا من مواجهة فكرين متضادين نُرجع المقارنة إلى موقف المسيح في مواجهة اليهود. فماذا قال المسيح لليهود؟

إن الأعمال الصالحة واجبات ضرورية، لكنها لا تعطينا أي حق في التعويض عن الخطايا التي ارتكبناها، ولا يمكن أن تكون وسيلة للصفح عن الذنوب السالفة. وقد قال المسيح: "فَهَلْ لِذلِكَ العَبْدِ فَضْلٌ لأَنَّهُ فَعَلَ مَـا أُمِرَ بِهِ؟! لا أظن! كذلك أنتم، أيضاً متى فَعَـلْتم مَا أُمِرتم بِهِ فقولوا: إننا عبيد بطَّالون. لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا " (لوقا١٧: ٩ و١٠). وقال الرسول بولس عن خلاص النفس: " لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها" (أفسس ٢: ٨-١٠).

وبما أن المال الذي عندنا، والصحة التي نتمتع بها هما من الله وله، ولسنا سوى وكلاء عليهما، فحين نجود بصَدَقة، أو نؤدي خدمة، لا نكون قد بذلنا شيئا أو أسدَينا معروفـاً نستحق عليه الجزاء. وهذا ما أعلنه نبي الله داود بعد أن قدم تبرعات ضخمة لبناء الهيكل، وقال: "مَنْ أَنَا، وَمَنْ هُوَ شَعْبِي حَتَّى نَسْـتَطِيعُ أَنْ نَنْتَدِبَ (نتبرع) هكَذَا؟ لأَنَّ مِنْكَ الْجَمِيعَ وَمِنْ يَدِكَ أَعْطَيْنَاكَ ...أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُنَا كُلُّ هذهِ الثَّروَةِ الَّتِي هَيَّـأْنَـاهَا لِنَبْنِيَ لَكَ بَيْتاً لاسْمِ قُدسِكَ، إِنَّمَا هِيَ مِنَ يَدِك، وَلَكَ الْكُلُّ" (١أخبار ٢٩: ١٤ و١٦).

إن الأعمال الصالحة التي نقوم بها نحن الخطاة، لا يمكن أن تمحو الإهانة التي وجهناها لله، الذي لا حد لقداسته وبره وحقه، لذلك فهي لا تستطيع أن تحصل لنا على أي صـفح ، فكما ذكرنا إذا حـاول شخص إهانة الملك بقذف

موكبه بالحجارة، فهل يستحق العقاب فقط إذا نجح بإلحاق الإهانة بالملك أو موكبه؟ بالطبع لا. كذلك الخطية هي مجرد توجيه الإهانة لله فنحن نستحق العقاب حتى لمجرد محاولة إهانة الله. وهل يتهاون الله مع الخطية؟!! لكن ما هي درجة القداسة المطلوبة للوجود في محضر الله ؟

٥- ما هى درجة القداسة المطلوبة للوجود فى حضرة الله؟

لو قارنا نظافة الشارع بنظافة المنزل، فنجد أن هناك فرقاً واضحاً، يصبح الفارق أكثر وضوحاً بالمقارنة بين نظافة المنزل وتعقيم غرفة العمليات، هذا يقودنا للسؤال عن ما هي القداسة المطلوبة للوجود في محضر الله؟

إن الوجود في حضرة الله يتطلّب القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب (عبرانيين ١٢: ١٤)، و"خطية" صغيرة كالكبيرة، فالخطية خاطئة جداً حتى لو كانت صغيرة (رو٧: ١٣)، والوصايا مثل سلسلة ذات عشر حلقات تربط الإنسان بالسماء، منْ عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل (يع٢: ١٠)،فلا صغائر ولا كبائر، (أمثلة: كالمركب ذات الثقب الواحد تغرق، مثل ذات العشرة ثقوب، إذا أخطأت في رقم تليفون، فإنك لا تصل للشخص المراد، حتى ولو كان الخطأ في رقم واحد! إذا قارنا غريقين فالأبعد لا يسبح يائساً للداخل).

والأعمال الصالحة في حدّ ذاتها لا تستطيع أن تصيّرنا قديسين، فالقداسة تُعطَى للمؤمن المولود من الله، الذي تحقق معه قول المسيح :"إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله...والمولود من الروح هو روح" (يوحنا٣: ٥و٦). فالاحتياج هو إلى قداسة وبرّ المسيح (راجع رومية ٦-٨).

ومن المعلوم أن الصلاة هي الصلة بالله، والتحدُّث إليه، والتأمل في شخصه. وبما أن الخاطئ منفصل عن الله بسبب خطيته، فلن تجد صلاته قبولاً

عند الله، فإن "مَنْ يُحوِّل أُذْنَهُ عَنْ سَمَاعِ الشريعة فصلاته أيضا مَكْرَهَةٌ" (أمثال ٢٨: ٩). وبالتالي لا تنال استجابة. قال الله: "بَلْ آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لا يَسْمَعَ. لأَنَّ أَيْدِيكُمْ قَدْ تَنَجَّسَتْ بِالدَّمِ، وَأَصَابِعَكُمْ بِالإِثْمِ. شِفَاهُكُم تَكَلَّمَتْ بِالْكَذِبِ وَلِسَانُكُمْ يَلْهَجُ بِالشَّرِّ" (إشعياء ٥٩: ٢و٣). وقال النبي داود: "إِنْ رَاعَيْتُ إِثْماً فِي قَلْبِي لا يَسْتَمِعُ لِي الرَّبُّ" (مزمور ٦٦: ١٨).

وكذلك الحال مع الصوم. صحيح أنه مظهر للتذلل والانكسار أمام الرب، إلا أنه لا يقدر أن يعيد الإنسان إلى حالة البر التي كان عليها قبل السقوط. وهو (مثل الصلاة) لا يقدر أن يعوّض عن الإهانة التي وجهتها خطية الإنسان إلى جلال الله الأقداس. لذلك لا يمكن أن يكون وسيلةً للصفح، قال الله: "لَمَّا صُمْتُمْ وَنُحْتُمْ ... فَهَلْ صُمْتُمْ صَوْماً لِي أَنَا؟ وَلَمَّا أَكَلْتُمْ وَلَمَّا شَرِبْتُمْ، أَفَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمُ الآكِلِينَ وَالشَّارِبِينَ ؟ " (زكريا ٧: ٥و٦).

٦- ما هو لزوم الكفارة؟

الرحمة والعدل في حل مشكلة الخطية: رأينا أن الخطية خاطئة جداً، لأنها موجهة من العبد إلى السيد الأعظم. لكن ما هو الحل؟

نقدم مثالاً أو فكرة للتبسيط: إذا أخطأ ابني في شيء بسيط (كسر كوب ماء مثلاً)، فقد أتركه يدفع ثمن هذا الخطأ. ولكن المشكلة تبدأ عندما يرتكب خطأً جسيماً لا يقدر هو على تعويضه. عندما أقوم بعمل القاضي: أحكم بأنه لا مفرَّ من التعويض. ولعجزه عن ذلك أقوم أنا به طوعاً، بسبب محبتي له، وبسبب عجزه هو. وقيامي بالسداد يعني إيفاء الحكم الذي سبق وأصدرتُه بنفسي. وقد وقفت موقف القاضي، ثم أخذت أنا موقف المتهم ، فتحمّلت العقاب عوضاً عنه

طوعاً. وهذا هو منطق المحبة. بالطبع المشكلة تظهر إذا كان خطأ ابني جسيماً، مثلاً حرق المنزل، فلو سامحته لن يرجع المنزل كما كان، فلا بد من دفع الثمن وهو ثمن كبير.

فالرحمة: تجعلني أدفع أنا بنفسي، لأني أحبه، ولأني أقدر على الدفع وفي نفس الوقت هو يعجز عن دفع الثمن.

والعدل: يُحتّم تعويض الخسارة التي تسبَّبَ فيها ابني. وقد يكون هذا التعويض هو التضحية بحياتي! وهذا ما يقال عن أحد الحكام أنه فعله، عندما أخذ عقاباً نيابة عن ابنه الذي اخطأ، مع أن الحاكم نفسه هو الذي أصدر الحكم.

وقد يدفع الأب الثمن مضحياً بحياته، فيبذل نفسه عن أسرته أو بلده ووطنه. فبذل النفس أو التضحية قد تكون بالحياة لافتداء خطأ الغير.

(فليس ظلماً أن يموت المسيح وهو بريء، لأنه قدم نفسه طوعاً).

والذي يتحمَّل الحكم بدل شخص آخر يجب أن يكون بريئاً. فالمحكوم عليه بالإعدام لا يمكن أن يحتمَّل عقاب إعدام عن شخص آخر، لأنه هو نفسه مطلوب لحكم الإعدام! فأجرة الخطية موت. والجميع أخطأوا، فالنفس أمَّارة بالسوء،فالجميع وقعوا تحت حكم الموت، وليس من يقدر على تحمُّل هذا العقاب الرهيب. وليس هناك بار يمتلك نفسه "بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارٍّ" (رومية ٥:٧). فلابد من وجود فادٍ بريء يُكفِّر عن خطايا البشر.

٧- هل تطغى الرحمة على العدل؟

العدل والرحمة صفتان بارزتان في الله، ولا يمكن أن تطغى إحداهما على الأخرى. فمن المستحيل أن يتصرف الله تصرّفاً تدعو إليه رحمته ويكون مناقضاً لعدله، أو يفعل ما يتطلبه عدله ويناقض رحمته، فارتباط الله بقانونه

(الذاتي) يجعله لا يدع رحمته توقف عدله، ولا يُنَفِّذ عدلاً يناقض رحمته:

العدل : يطلب تنفيذ الحكم كاملاً بلا تساهل ولا تفريط.

والرحمة : تطلب الصفح صفحاً تاماً لا عقاب فيه أو قصاص.

ويبدو أن المطلبين متناقضان ! وقد نشأ هذا الموقف بسبب مشكلة الخطية التي تقتضي حلاً يجمع بين هذين المطلبين ويُوفِّق بينهما. وتم الجمع بينهما بتقديم فدية ينال بها الإنسان الصفح والغفران، ويستوفي بها العدل الإلهي حقوقه كاملة.

معنى الحق في العبري: فكلمة حق في العبرية "صادوقيم" أي الصدق والحق بل والرحمة، فعدل الله به حق ورحمة في آن واحد، فهما ليسا مطلبين متناقضين بل قد تلاقيا في الصليب:"الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا" (مزمور٨٥: ١٠) وقد نادت اليهودية بالذبائح الدموية للتكفير عن الخطية. ونحن نحتاج لذبيحة ثمينة جداً :

(أ) تساوي كل النفوس المطلوب افتداؤها.

(ب) وتكون من نفس نوع الإنسان.

(ج) ومع ذلك تكون طاهرة وبلا عيب لتصلح للتكفير.

(د) وتكون كافية لتتميم مطالب العدل والرحمة للبشر جميعاً.

ولكننا لا نجد مثل هذه الفدية عند البشر، فلابد أن تكون من عند الله نفسه. فهو وحده القادر، بينما الإنسان عاجز، خاصةً بعد أن فصلته خطيته عن الله . فماذا فعل الله للإنسان لينقذه من خطيته؟

٨- ما هى الكفارة فى المسيحية؟

لنفهم عقيدة الكفّارة في الكتاب المقدس ينبغي أن نذكر عدداً من الحقائق الهامة التي مهّدت لها:

١- توافق وتوازن صفات الله، فلا صفة فيه سبحانه تغلب على أخرى. فإن كان الله محباً فإنه أيضاً عادل وقدوس. وإن كان رحماناً رحيماً فإنه سريع الحساب. فلا يمكن أن تطغى رحمته على عدله.

٢- أخطأ آدم عندما عصى ربه وغوى وأكل من الشجرة الممنوعة، رغم تحذير الله له بأنه إن أكل منها موتاً يموت. وبذلك استحق حكم الموت.

٣- كانت العقوبة الإلهية لآدم على خطئه عادلة، كما كانت كفّارة المسيح دليل محبته. ولا يعتقد أحد بأن موت آدم جزاء لأكله من الشجرة تطرُّفــاً في شدة العقاب، فقد سبق أن أنذر الله آدمَ بهذه العقوبة. كما أن القصاص الإلهي عادل، يتناسب تناسباً طردياً مع مكانة الشخص المُساء إليه. فإذا وقعت إهانة على شخص قليل الشأن كان قصاصها لا يُذكر، وكان تعويضها (إن كان لابد من تعويض) ضئيلاً. أما إذا وقعت الإهانة على شخص عظيم القدر كملكٍ أو حاكم، كانت جريمة شنيعة تستحق عقاباً جسيماً لا مجال فيه للتعويض. وبما أن الخطية إهانة موجَّهة (أو محاولة الإهانة) لله الذي لا نهاية لمجده ولا حد لسموّه، فالعقوبة المستحقَّة عنها هي عقوبة لا نهاية لها. فلا عجب أن قال الله لآدم إنه يوم يأكل من الشجرة التي نهاه عنها "موتاً يموت" .

٤ - لم يخلق الله آدم عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض بلا هدف ولا تقدير، وهو محبة في ذاته، محبٌ لخلقه ومخلوقاته.

٥- وبناءً على ذلك كانت هناك معادلة مطروحة : إمــا أن يموت آدم كــما

قالت شريعة الله، فلا تكون هناك حياة ولا آدميون، وإما أن يحيا آدم على حساب التضحية بعدالة الله.

٦- يعجز البشر عن حل مشكلتهم عن طريق الأعمال الصالحة، أو إرضاء عدالة الله بأي طريق.

٧- أوجد الله الحل وقدّمه برهاناً على عظمته ومحبته وعدله ورحمته، "لأنه هكَذَا أَحَبَّ اللهُ العَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣:١٦) .

وهذه الحقائق السبع تسير في تسلسلٍ منطقي، كل حلقه فيها نتيجة طبيعية لما سبقها، ومقدمة بديهية لما تقدمها.

٩- ما هى حتمية الكفارة؟
ولماذا الاحتياج إلى تضحية كافية؟

لا سبيل للحصول على الغفران أو التمتع بالله إلا إذا وفَّينا أولاً مطالب عدالته وقداسته بواسطةٍ ما. لكن الذين لا يدركون هذه الحقيقة، أو يدركونها ثم يتغاضون عنها لجهلهم بكيفية إتمامها، يريحون ضمائرهم بأن يتركوا الأمر إلى رحمة الله. ونحن نعتزّ برحمة الله، ونؤمن أن رحمته وحدها هي القادرة أن تأتينا بالصفح والغفران. لكن لكي لا يكون الاعتماد عليها مؤسساً على مجرد الأمل أو التمنّي ، بل على الحق والواقع نقول:

لنفرض أن قضيةً رُفعت إلى قاضٍ مشهورٍ بالرحمة والرأفة، كما أنه مشهور بتقديس العدل وعدم التفريط فيه، فهل يجوز للمذنب أن يُطمئن نفسه بأن هذا القاضي سوف يبرىء ساحته لأن قلب القاضي الرحيم الرؤوف لا يرضى بتوقيع العقوبة القانونية عليه؟ الجواب: لا !

وعلى هذا النسق نقول: الله رحيم رؤوف كما أنه عادل وقدوس. فلا يجوز أن نُطمئن نفوسنا برحمته قبل أن نعرف الوسيلة التي تؤهلنا للتمتع بتلك الرحمة دون الإجحاف بمطالب عدالته وقداسته. فما هي هذه الوسيلة ؟؟

الجواب: لا نستطيع بالصلاة والصوم والأعمال الصالحة أن نوفي مطالب عدالة الله وقداسته، وهما لا تقلان في شيء عن رحمته ومحبته، وهذا ما قاله المسيح لليهود (لوقا١٧: ٩و١٠)، فالعبد يظل عبداً مهما فعل، لكنه محتاج لتدخل خارجي من الله لينال برّ المسيح المجاني، فيقبل عمل الله في المسيح، ويتصالح مع الله (٢كورنثوس٥: ١٧-١٩). فلكي نتمتع بالغفران والقبول أمام الله، كان لا بد من الفداء أو التعويض، بواسطة كائن يقبل أن يموت عوضاً عنا، ويرضى على نفسه القصاص الذي نستحقه بسبب خطايانا، ويقدر أن يهبنا أيضاً طبيعة روحية تجعلنا أهلاً للتوافق معه (سبحانه) في صفاته الأخلاقية السامية، تنفيذاً لمطالب قداسته.

وتوضيحاً لما سبق: فإن لهذا الفادي بعضاً من الشروط التي يفترضها العقل والمنطق لفداء البشرية، منها:

١- بما أن الفدية يجب أن تكون على الأقل مساوية في قيمتها للشيء المطلوب فداؤه. وبما أنه لا يساوي الإنسان إلا إنسان مثله، لأنه ليس له نظير بين الكائنات يعادله ويساويه، لذلك فالفدية، أو بالأحرى الفادي الذي يصلح للتكفير عن نفوسنا، يجب أن لا يكون حيواناً، بل أن يكون على الأقل إنساناً.

٢- وبما أن هذا الفادي سيكون فادياً ليس لإنسانٍ واحدٍ بل لكل الناس، يجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس.

٣- وبما أنه لو كان الفادي من جنسٍ يختلف عن جنسنا لَمَا استطاع أن

يكون نائباً عنا، لأن النائب يكون من جنس الذين ينوب عنهم، لذلك فإنه مع عظمته، التي ذكرناها، يجب أن يكون واحداً من جنسنا .

٤- وبما أنه لو كان الفادي خاطئاً مثلنا لكان محروماً من الله، وواقعاً تحت قضاء القصاص الأبدي نظيرنا. ولا يستطيع تبعاً لذلك أن ينقذ واحداً منا من هذا المصير المرعب، لأنه يكون هو نفسه محتاجاً إلى من ينقذه. لذلك فالفادي يجب أن يكون واحداً من جنسنا، وخالياً من الخطية خلوّاً تاماً.

٥ – وبما أن خلوّه من الخطية، وإن كان أمراً سامياً، فإنه لا يدل على كماله، ولا على أهليته ليكون فادياً. فآدم مثلاً خُلِقَ خالياً من الخطية، غير أنه لم يكن معصوماً منها، لأنه عندما عاش على الأرض سقط فيها، لذلك لا يكفي أن يكون الفادي خالياً من الخطية، بل يجب أن يكون أيضاً معصوماً منها.

٦- لو كان هذا الفادي مخلوقـاً لكان بجملته ملكاً لله. والشخص الذي لا يملك نفسه لا يحق له أن يقدم نفسه فدية لله عن إنسان ما. إذاً فالفادي يجب أن يكون أيضاً شخصاً غير مخلوق، لكي يكون من حقه أن يقدم نفسه كفّارة.

٧- لا يمكن الحصول على الغفران والتمتع بالوجود في حضرة الله إلا إذا تمَّ أولاً إيفاء مطالب عدالته وقداسته التي لا حدّ لها. إذاً فالفادي يجب أن يكون أيضاً ذا مكانة لا حدَّ لسموّها حتى يستطيع إيفاء مطالب العدالة بتحمُّل كل قصاص الخطية عوضاً عنا. وإيفاء مطالب القداسة بإمدادنا بحياة روحية ترقى بنا إلى درجة التوافق مع الله في صفاته الأخلاقية السامية.

تُرى منْ يكون هذا الفادي العظيم القدر، الخالي من الخطية والمعصوم منها، غير المخلوق في ذاته، وغير المحدود في مكانته، حتى يستطيع متطوّعاً أن يوفي مطالب عدالة الله التي لا حدّ لها عوضاً عنا، ويبعث فينا

أيضاً حياة روحية ترقى بنا لدرجة التوافق مع الله في صفاته الأخلاقية السامية؟ ليس هناك مَن يتّصف بهذه الصفات أو يستطيع القيام بهذه الأعمال سوى الله !

١٠- كيف قدم الله العلاج من خلال التجسد؟

لما عجز البشر، قدَّم الله العلاج طوعاً ومحبةً. في أمور كثيرة يعجز الصغير أو الضعيف عن الالتقاء بالكبير أو القوي، إلا عندما يتنازل العظيم ويأخذ بيد الضعيف، كما في التقاء الملك بالشحاذ. فالملك هو الذي يقدر أن يتنازل فيلتقي بالعبد الفقير. وهنا نلاحظ :

١- قد لا تدرك الرعية شخصيَّة الملك أثناء تنازله، ولكن هذا لا يقلل من شأنه. لأن المشكلة كامنةٌ في إدراكهم هم، لا في عظمة الملك وتنازله. ومهما أُسيء تفسير وفهم ما عمله الملك، فهذا لا يقلل من شأنه ولا من شأن ما صنعه.

٢- يمكن أن يتنازل الملك فيلتقي بالعبد، لكن العكس غير جائز، فلا يقدر العبد أن يأخذ زمام المبادرة ويلبس ثياباً ملكية، ويذهب لملاقاة الملك! وهذا ما فعله الله، ملك الملوك. فلما عجز الإنسان الخاطئ عن الالتقاء به، خاصةً بعد أن فصلته الخطية عنه، تنازل الله المُحب متراحماً وأخذ زمام المبادرة. والإنسان يفعل ذات الشيء مع ابنه، ويدفع عنه الثمن مهما عظُم. (وكما رأينا حاكماً يتحمل عقاباً عن ابنه لأنه يحبه).

٣- يقــدر الله أن يــتّخذ ناسوتاً من جنسنا ليكون فيه فادياً لنا. وهو باتّخاذ هذا الناسوت:

أ- لا ينحصر في مكان ما، لأن اللاهوت لا يتحيَّز بحيزٍ. ووجوده سبحانه في مكان (حسب تقديراتنا البشرية) لا يمنع وجوده في مكان آخر في نفس الوقت.

ب- باتّخاذ هذا الناسوت لا يفقد شيئاً من مجده الذاتي، لأن هذا المجد لا يتعرّض للزيادة أو النقصان على الإطلاق .

ج- اتّخاذه هذا الناسوت أمر تتطلبه رغبته في أن تكون لنا جميعاً علاقة صادقة معه، إذ لا يمكن أن تقوم هذه العلاقة إذا ظل بعيداً عن مداركنا، وظلَلْنا نحن بعيدين عن التوافق معه[5]، لم يكن ممكناً أن يتأله الإنسان ليتواصل مع الله، فتجسَّد الله. في التجسُّد تنازل الله ، فحل مشكلة العبودية وأصبحنا بنين (يو ١: ١٢). (مثال: عندما يحب الملك عبداً وبمنطق المحبة يتبناه).

وليست فكرة التجسّد غريبة، فنجد موسى يقول "لأميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب إنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى موسى، فقال: هاأنذا. فقال: لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة" (خروج ٣: ٣-٥) يوضح لنا ظهور الله (مَنْ في النار) في شجرة تحترق، مع أن النار والشجرة كانت تُعَبد كوثن. وهو في الوقت نفسه (مَنْ حولها) يملأ السماء والأرض. فبالأولى يظهر في صورة إنسان مخلوق على صورته (كما تقول التوراة في التكوين ١: ٢٧) «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم».

٤- وخلوّ هذا الناسوت من كل ميل للخطية ممكن، لأن الله عندما يتّخذ لنفسه ناسوتاً لا يحتاج في تكوينه إلى بذرة حياة من رجل ما، لأنه هو الحياة نفسها. وبما أن الطبيعة التي تميل إلى الخطية تنتقل إلى الإنسان

[5] وإلا كيف نقول إنه أقرب إلينا من حبل الوريد؟!

بالتناسل الطبيعي، فمن البديهي أن يكون هذا الناسوت خالياً من الطبيعة الخاطئة، ويكون أيضاً (بسبب كماله الذاتي) معصوماً من السقوط في الخطية. وليس المجال هنا للكلام عن توارث الخطية الأصلية التي لحقت بنا بسبب خطية آدم، لكن من المعروف أن آدم الثاني (المسيح) غفر لنا هذه الخطية مجاناً.

وعلي العموم لقد وُجِدَ بالدليل العملي أن النفس أمارة بالسوء، فالجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله. فكان الاحتياج إلى منقذ بلا خطية، والمسيح هو الوحيد الذي عاش على أرضنا معصوماً في سيرته الذاتية، (راجع : شخصية المسيح" لــ دكتور عبد الفادي).

٥- ومساواة نفسه لنفوسنا جميعاً في القيمة لا مجال لمناقشته، لأنه مقترن بالله، وقيمته لا حدَّ لها. فإن هذا الناسوت قدوس كل القداسة، والقدوس أعظم من كل الخطاة بما لا يُقاس.

٦- وامـــتلاك الفادي لناسوته أمر قائمُ، فهو غير مخلوق بواسطة كائنٍ ما، لأن هذا الفادي هو الله، خالق كل الأشياء ومالكها .

٧- واحتمال قصاص الخطية عوضاً عنا إيفاءً لمطالب العدالة الإلهية يتوافر فيه أيضاً، لأنه بوصفه الله يحيط بمطالب هذه العدالة، ويقدر أن يحققَها في الناسوت الذي يتَّخذه. واستطاعته أن يرقى بنا إلى حالة التوافق مع الله يتوافر فيه كذلك، لأنه في ذاته هو الله، والله هو الذي يقدر أن يقوم بهذه المهمة.

❑ فإذا درسنا حياة الأشخاص الذين ظهروا في العالم، فهل نرى شخصاً تتوافر فيه كل شروط الفداء؟(لنرجع للبحث في تفرّد المسيح)

أ- فهو لم يرث الخطية في طبيعته الإنسانية، لأنه وُلِدَ بدون أب يورّثه

الخطية، فقد وُلد من عذراء بقوة الروح القدس (لوقا ١ :٢٨).

ب- وعاش المسيح بقوته الذاتية دون خطية. صحيحٌ أنه كانت له كل الإحساسات الطبيعية من شعورٍ بالجوع والعطش والألم والحاجة إلى النوم (متى ٤ :٢)، وهي التي يمكن أن تميل به إلى الانحراف عن حق الله. ولكن بسبب كماله الذاتي لم ينحرف عن الله على الإطلاق، ولذلك كان أسمى من آدم بما لا يقاس. فمع أن آدم خُلق خالياً من الخطية، إلا أنه مال إليها وسقط فيها. على النقيض من المسيح تماماً (فلا يمكن أن يكون المسيح مثل آدم).

ج - تساوي نفس المسيح نفوس البشر جميعاً، بل وتفضل عنها قيمة وقدراً، لأنه هو الكامل (كمالاً لا نهائياً). أما هم فبسبب خطاياهم ناقصون. وإن اجتمع بعضهم إلى البعض الآخر، فإن هذا لا يقلل من نقصهم، بل يزيده نقصاً.

د- ومع ذلك كان المسيح- من الناحية الناسوتية - إنساناً حقيقياً من جنسنا. فجسده وإن كان خالياً من الخطية، كان جسداً مادياً مثل أجسادنا "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ. اشْتَرَكَ هُوَ (المسيح) أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا " (عبرانيين ٢ :١٤). ولما ظنَّ تلاميذه بعد قيامته أنه روح قال لهم: "اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ ، إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَــإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَــا تَرَوْنَ لِي " (لوقا ٢٤ :٣٩).

هـــ- ورغم أنه كان إنساناً حقيقياً، كانت نفسه ملكاً له، قال عنها: "لَيْسَ أَحَــدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَــلْ أَضَعُهَا (أي أسلّمها) أَنَــا مِنْ ذَاتِـي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً" (يوحنا١٠ :١٨). وقد برّهن عملياً على صدق شهادته هذه، لأنه بعــدما قدّم نفسه كفّارة عن البشر استـــردَّها

ثانية وقـــام من بين الأموات.

و- وكان في إمكان المسيح أن يبعث حياةً روحية في البشر، ترقّى بهم فوق ضعفهم الذاتي وتجعلهم أهلاً للتوافق مع الله في صفاته الأخلاقية السامية إلى الأبد. فقد قال عن رعيته:"أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا ١٠:٢٨).

ز- وكـــان من الناحية الباطنية هو ذات الله، فاستطاع أن يكفّر عن البشر جميعـــاً تكفيراً يوفي مطالب عدالة الله .

وقَبْلَ مجيء المسيح ليقدم نفسه كفّارة عن خطايا البشر نادت شريعة موسى بالذبيحة التي يقدمها المعترف بالخطأ، طالباً غفران الله، فتموت الذبيحة بدلاً منه، ويحيا هو. والاحتفال بالضحية ينقل هذه الفكرة نفسها فلقد فدى الله ابن إبراهيم بذِبحٍ عظيم، ومن هنا نرى أن سفك الدم والفداء متلازمان مترابطان.

والدليل على أن الله قَبِلَ كفّارة المسيح، أنه عند صلب المسيح انشقّ حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل، بمعنى أن المبادرة جاءت من عند الله، وهذا يعني أن ذبائح شريعة موسى قد انتهت لأنها كانت مجرد رموز لذبيحة المسيح العظمى. وبعد أن جاء المرموز له، وقدم نفسه فداءً للبشرية، توقفت الذبيحة الموسوية، وتحقق في الصليب الوعد الإلهي: " الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا ". (مزمور ٨٥:١٠)، وكلمة (الحق) هنا تعني العدل والرحمة معاً (كما ذكرنا)، فالله صالحنا، لنفسه في صليب المسيح (٢كورنثوس٥: ١٧-١٩). وسنوضح في الفصل القادم حقيقة الصليب .

ملاحظة هامة: إذا كانت لديك تساؤلات أو اعتراضات اطلب كتاب "كفّارة المسيح " لعوض سمعان، فهو يعالج هذا الموضوع بتفصيل ودقة أكثر، ففي الفصل الثاني من " كفّارة المسيح " تجد كيف تنتفع بكفّارة المسيح؟ فلن تجد قبولاً أمام الله إلا من خلال كفّارة المسيح الذي يُطهِّر من كل خطية، فلابد أن تقبل عمل المسيح عقلياً بل والأهم قلبياً، ببرهان الروح القدس ، حتى تنتفع بكفّارة المسيح عن خطاياك وذنوبك، فتجد قبولاً أمام الله ، وتصبح ابناً روحياً لله (يوحنا ١: ١٢).

الفصل الثالث :
أدلة نقلية على صلب المسيح

رأينا فيما سبق أن كفّارة المسيح حتمية تشريعية ، وفرضية عقلية. والآن سنثبت أنها حقيقة تاريخية.

١- هل تنبأت التوراة عن الصليب؟

قبل أن يسجل الإنجيل تفاصيل حادثة الصلب، فإن أسفار التوراة قد تنبأت بها. وبذلك لم يعد هناك مجال لقول متشكك، أو ادّعاء مدعٍ للطعن في حقيقة حادثة الصلب.

وقد تحققت في المسيح أكثر من ٣٠٠ نبوة وإشارة توراتية، معظمها عن أسبوع الآلام من الصلب للقيامة. وقد قام بيتر ستونر (وهو عالم رياضيات أمريكي) بحساب نسبة تحقيق ٤٨ نبوة، فوجد أن نسبة تحقيقها بالصدفة هي فرصة واحدة من بين واحد وأمامه ١٨١ صفراً من الفرص (أي ١:١X١٠ ^١٨١^).

وهذه بعض الأمثلة:

تنبأ النبي زكريا عن الثلاثين من الفضة التي قبضها يهوذا ليسلم المسيح قائلا: "فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنْ حَسُنَ فِي أَعْيُنِكُمْ فَأَعْطُونِي أُجْرَتِي ... فَوَزَنُوا أُجْرَتِي: ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، فَقَالَ لِي الرَّبُّ: أَلْقِهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنَ الْكَرِيمَ الَّذِي ثَمَّنُونِي بِهِ، فَأَخَذْتُ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّ" (زكريا ١١: ١٢و١٣).

وسجل البشير متى في إنجيله إتمام هذه النبوة: "حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، وَقَالَ: مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ ؟ فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ

...حينئذ لَمَّا رَأَى يَهُوذَا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ، قَائِلاً: قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا فَقَالُوا مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ! فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَانْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَنَقَ نَفْسَهُ، فَأَخَذَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ الْفِضَّةَ، وَقَالُوا: "لاَ يَحِلُّ أَنْ نُلْقِيَهَا فِي الْخِزَانَةِ لأَنَّهَا ثَمَنُ دَمٍ. فَتَشَاوَرُوا وَاشْتَرَوْا بِهَا حَقْلَ الْفَخَّارِيِّ مَقْبَرَةً لِلْغُرَبَاءِ" (متى٢٦: ١٤و١٥و٢٧: ٣-٨).

لو كان يهوذا هو الذي صُلب لشاع الخبر عند اليهود وغيرهم، لكن شهود العيان شاهدوا جثة يهوذا، الذي شنق نفسه، وبعد أن ثقلت الجثة وقعت على بعض الأحجار فانشقت أحشاؤه. هؤلاء الشهود جميعاً لم يراودهم الشك في موضوع الشبه، ولم يتصوروا أن يهوذا هو الذي صُلب، أو مظلوماً آخر، أو متطوعاً قد تم صلبه .

وتنبأ النبي داود في مزاميره عن ترك الآب للمسيح: "إِلهِي إِلهِي! لِمَاذَا تَرَكْتَنِي بَعِيداً عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟ " (مزمور ٢٢: ١). وقد سجل البشير متى إتمامها في إنجيله: "وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِلهِي إِلهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ " (متى ٢٧: ٤٦). (فشهود العيان سمعوه، فإذا كانت هناك شبهه في الشكل، فماذا عن صوته، الذي سمعه العارفون بالمسيح؟)

وتنبأ النبي داود أيضاً عن شرب المسيح الخل على الصليب: " وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاً " (مزمور ٦٩: ٢١). وسجل البشير يوحنا إتمامها : " بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: "أَنَا عَطْشَانُ". وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعاً مَمْلُوّاً خَلاًّ. فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ" (يوحنا ١٩: ٢٨ و٢٩).

وتنبأ داود أيضاً عن تقسيم ثياب المسيح بالقرعة، فقال : " يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ " (مزمور٢٢:١٨). وجاء تحقيقها في إنجيل يوحنا: "ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَام، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْماً..وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ، مَنْسوجاً كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: "لا نَشُقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكون" (يوحنا١٩:٢٣و٢٤).

وتنبأت المزامير عن أنه لا تُكسر عظامه: " يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لا يَنْكَسِرُ " (مزمور ٣٤:٢٠). وجاء تحقيقها في إنجيل يوحنا: " فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ ...وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ، لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ " (يوحنا ١٩:٣٢و ٣٣).

وتنبأ النبي زكريا عن طعن جنبه بالحربة، فقال: " فَيَنْظُرُونَ إِلَيَ الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ " (زكريا ١٢:١٠). وجاء تحقيق هذه النبوة في إنجيل يوحنا: "لكِنَّ وَاحِداً مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ، وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ " (يوحنا ١٩:٣٤).

٢- ما هى شهادة الأناجيل الأربعة للصلب؟

لم يرد لفظ " الصليب " في أسفار العهد القديم، لكنه ورد بأكثر من معني في العهد الجديد، الكلمة التي تترجم حالياً "صليب" تفيد في اللغة اليونانية "آلة تعذيب وإعدام"، ولكنها اكتسبت معنىً خاصاً لارتباطها بموت المسيح.

وهناك كلمتان يونانيتان تُستعملان للتعبير عن آلة التعذيب التي نفذ بها حكم الموت على المسيح:

١ -(إكسيلون) (xylon) وتعني خشبه أو شجرة.

٢ -(استاوروس) (stouros) وتعني صليب بمفهومه الحالي.

الكلمة الأولى(إكسيلون) وردت في العهد الجديد عادة للتعبير عن الخشب كمادة، وهي الكلمة التي وردت في (تثنية ٢١:٢٣)، والتي اقتبسها بولس الرسول في (غلاطية ١٣:٣) " مَـلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ على خشبة ". وقد وردت كلمة (استاوروس) ومشتقاتها في الأناجيل، في قصة صلب المسيح، في (متى ٤٠:٢٧و٤٢ولوقا ٢٦:٢٣ويوحنا ١٧:١٩). وفي رسائل بولس سبع عشرة مرة، ووردت كلمة "الصليب" سبع مرات، ووردت كلمة "يُصلب" ثماني مرات، وورد تعبير " يُصلب مع " مرتان .

نـوع الصـليب: هناك نوعان: الأول أقصر وطوله ستة أقدام فقط، وتكون ركبتا المصلوب في وضع منحنٍ (واسمه كروكس هوميليس)، والثاني أطول وأكـثر فخامـة فهو للشخصيات البارزة (واسمه كروكس سبليموس)، وكان الصـليب في بداية الأمر على شكل حرف(T) وليس به مكان لإسناد الرأس. (راجع "صلب المسيح" للدكتور فريز صموئيل).

وقبل أن نسوق شهادة الأناجيل لصلب المسيح، نورد ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "عبقرية المسيح" ص١٢٦: "وليس من الصواب أن يُقال إن الأناجيل جميعاً عُمدة لا يُعوَّل عليها في تاريخ السيد المسيح، إنما الصواب أنها العُمدة الوحيدة في كتابة ذلك التاريخ... إنها هي العمدة التي اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح. وليس لدينا نحن – بعد قرابة ألفي عام – أحق منها بالاعتماد". لذا نسوق شهادة الرُسل، بل وشهادة المسيح نفسه.

٣-فهل شهد المسيح عن الصليب (قبل الحادثة وبعدها)؟

أعلن المسيح لتلاميذه في مناسبات عديدة أن عمله الخلاصي يستلزم موته

على الصليب، وأبرز تصريح جاء في خطبة وداعه لهم في الليلة التي أسلم فيها. وإليك بعض إعلاناته عن موته على الصليب لفداء البشر:

-" منْ ذلكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاميذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَيَتَأَلَّمَ كَثيراً منَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ والْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ"(متى ١٦: ٢١). ونراه هنا يحدد المدينة التي سيموت فيها.

- "وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ، فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ " (متى١٧: ٢٢ و٢٠: ١٨و١٩).

- "وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هذِهِ الأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلاميذِهِ: "تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ"(متى٢٦: ١و٢). ونراه هنا يحدد الموعد الذي سيموت فيه. "وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام يَقُومُ " (مرقس ٨: ٣١). وقال هذا الكلام علناً. فانتحى بطرس بالمسيح، وقال له: "حاشا لك يا رب" ولكن المسيح قال لبطرس: "اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ، لأَنَّكَ لا تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ"، وقد حدث أن بعض اليونانيين جاءوا إلى المسيح يدعونه لزيارة بلادهم ليجنّبوه الصليب، ولكنه أعلن ضرورة صلبه، وضرب هذا المثل: " إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا. وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ " (يوحنا١٢: ٢٤و٢٥).

وجاء قادة اليهود للمسيح يطلبون منه معجزة تبرهن أنه من عند الله، فرفض أن يُجري معجزة لقوم يعلم أنهم لن يقبلوا الإيمان به حتى لو أجرى المعجزة، وقال: " لا تُعْطَى لَهُ (ذلك الجيل) آيَةٌ إِلا آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ، لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ

فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاثَةَ أَيَّام وثَلاثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاثَةَ أَيَّام وثَلاثَ لَيَالٍ " - يقصد بذلك موته ودفنه (متى١٢: ٣٩ و٤٠).

• لم يكن هناك اعتراض يهودي على الثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، فاليوم يُحسب كاملاً بمجرد مرور جزء منه، كما حدث في صوم الملكة أستير، دخلت للملك في اليوم الثالث (استير٥: ١)، مع أنه مفروض أن تدخل بعد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، فهذه هي طريقة حساب اليهود. وكانوا أولى بالاعتراض إن وُجِد!

- " كَانَ يُعَلِّمُ تَلامِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ " (مرقس ٩: ٣١) .

-" هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ، وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ " (مرقس ١٠: ٣٣ و٣٤).

- " يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيراً، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ " (لوقا ٩: ٢٢) .

- " وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا٣: ١٤ و١٥).

ومن الأدلة القاطعة على أن المسيح صُلب أنه بعد الصليب قال لتوما: "هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي ، وَلا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً"، أَجَابَ تُومَا: رَبِّي وَإِلهِي" (يوحنا٢٠: ٢٧ و ٢٨). فلو لم يكن المسيح قد صُلب ما قال هذا لتوما وللتلاميذ العشرة الموجودين وقت هذا الظهور المجيد بعد القيامة. فالمسيح صادق بشهادة الجميع، وهو هنا يشهد عن الصلب بعد حدوثه، ويقدم الدليل المادي لمنْ لم يصدق بالإيمان.

ولم تكن هذه المرة الوحيدة لظهور المسيح بعد قيامته، فقد ظهر عِدة مرات لمريديه. وكان أكبر عدد منهم رآه لما "ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً، لأَكْثَرُ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ" (١كورنثوس ١٥: ٦)، كان هؤلاء وغيرهم شهوداً للصليب ولموت المسيح وقيامته.

٤ - ما هي شهادة الرسل؟

كل من يقرأ سفر أعمال الرسل ورسائل تلاميذ المسيح يلاحظ أن التعاليم التي نشروها وبشروا بها في كل العالم، قامت على المناداة بالمسيح مصلوباً من أجل خطايا العالم. وبعد أيام قليلة من حادثة الصليب، وعلى بُعد أمتار قليلة من مكان الصَّلب في أورشليم، قام بطرس الرسول يقول لليهود: "يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ...أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ" (أعمال٢: ٢٢و٢٣). فلو أن الصَّلب لم يحدث، لدافع كهنة اليهود وحكام الرومان عن أنفسهم. لكن لم يعترض أحد بل بالعكس لما سمعوا نخسوا في قلوبهم ! وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف شاهد.

وقال الرسول بولس: "نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ... لَيْسَتْ مِنْ هذَا الدَّهْرِ، وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ الَّذِينَ يُبْطَلُونَ، بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرٍّ. الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ" (١كورنثوس ٢: ٦-٨). يوضح الرسول بولس الأمر كله بقوله: "الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ...أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ...لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ"(٢كورنثوس ٥: ١٨-٢١).

وقد سجل الرسول بولس لنا قانوناً مختصراً للإيمان، قال فيه: "وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضاً تَخْلُصُونَ ... فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (١كورنثوس ١٥: ١-٤).

- وقال الرسول يوحنا: "إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ" (١يوحنا١: ٧).

وما قدمناه هو مجرد أمثلة لشهادات الرسل، الذين قدموا الفكر دون محاولة تقديم أدلة، فلم يكن الصليب في قرون المسيحية الأولى موضوع جدل ولا اعتراض من أحد، فعرض رُسُل المسيحية الحقائق في سلاسة ويسر، لأن قرّاءهم يعرفون الحقيقة.

٥- هل يوجد برهان سيكولوجي (نفسي)؟

ليس الصليب إلا أداة موت، فكيف افتخر الرسل بموت قائدهم ؟

الإجابة: لأن هذا الموت بالصليب قد حدث فعلاً، ولأن نتيجة الصليب كانت بركة عظمى. ونسوق مثلاً قدمه الدكتور القس منيس عبد النور للتوضيح، قائلاً: لو قام قائدٌ[6] بثورة ضد المستعمر فشنق المستعمرون القائد. ولم يهدأ الشعب بعد شنق قائدهم، فقاموا بثورة كبرى ضد المستعمر نتج عنها هزيمته وخروجه من بلدهم . فقرر أنجال ذلك القائد وأحفاده أن يفتخروا بوالدهم وجدّهم هذا الشجاع، بأن يعلّقوا على صدورهم رسماً للمشنقة، وبأن يسمّوا

---

[6] وهي نفس فكرة تاريخ تحرير اسكتلندا!

أنفسهم"عائلة المشنوق". لقد افتخروا بالمشنقة، لا لأنها أداة إعدام، بل لأن والدهم وجَدهم هو الذي مات عليها، وكانت نتيجة موته أن تحرر وطنه.

لكن لو افترضنا أن إعدام هذا القائد كان عبثاً، فلا المستعمر خرج، ولا الشعب انتصر، فلن يفتخر أحد بنَسَبه إليه! ولو افترضنا أن المستعمرين جاءوا ليمسكوا ذلك القائد، فأخطأوا وألقوا القبض على غيره، فإن المستعمر سيبقى، والشعب لن يفتخر بهذا القائد، لأنه لم يمت بل "شُبِّه" للمستعمرين وأخذوا غيره! فافتخار الرسل والمسيحيين بالصليب يؤكد حقيقتين:

أ - لابد أن المسيح هو فعلاً الذي صُلب، فلو أن الشبيه هو الذي أُلقي القبض عليه لما استطاع أن يُجري معجزة شفاء أذن ملخس التي قطعها سيف بطرس. ولو أن الشبيه هو الذي صُلب لما قام من الموت في اليوم الثالث. ولو أن يهوذا هو الذي صُلب بدلاً من المسيح لما وجدوا جثته بعد انتحاره أسفاً على خيانته لسيده! ولا فرغ قبره الذي يزوره الناس من كل العالم.

ب - إن هناك نتائج إيجابية للصليب، أهمها الكفّارة التي تستر خطايا البشر.

٦- هل يشهد التواتر لصلب المسيح؟

منذ البداية رفع المسيحيون الصليب على كنائسهم وصدورهم، وعلى تيجان الملوك، وعلى أعلام بعض دولهم، وفي كل مكان ينتمون إليه حتى على مقابرهم! وفي المتحف الروماني بالإسكندرية بمصر توجد مومياء من القرن الأول الميلادي، وعليها علامة الصليب من الخارج.

<u>مثال "المحكمة" أيضاً للدكتور القس منيس عبد النور</u>: لقد توفّر عدد لا يُحصى من شهود الصليب والموت والقيامة. فلو تصورنا أننا في محكمة يتفق

فيها كل الشهود في التعرُّف على القتلة، ويعترف القتلة بأنهم خططوا للقتل ونفَّذوه. أما المجني عليه فقد سيق وقال إنهم سيقتلونه. ثم توفَّر لنا شيء غريب، وهو أن هذا القتيل (بعد موته) قام وشهد بنفسه أن هؤلاء هم الذين قتلوه ! (وهذا ما حدث مع المسيح المصلوب المقام، عندما ظهر لتوما والتلاميذ)، فلا نعود نحتاج لأي دليل آخر على حدوث جريمة القتل. ولن نشك، خصوصاً وأن الذي يشككنا جاءنا بعد حادثة الصليب بعدة مئات من السنين، وهو ليس شاهد عيان، كما أنه لا يملك من البراهين ما يبني عليه إنكار تاريخية الصلب.

وهناك برهان آخر نسوقه على صدق حادثة الصليب، وهو أن الذين جذبهم المسيح إليه بموته كانوا أكثر من الذين جذبهم إليه أثناء حياته على أرضنا. ونحن عادة نقول: لو عاش البطل الفلانى أكثر لأنتج أكثر، ولكن موته في ريعان الشباب أوقف إكمال عمله. غير أن الأمر مختلفٌ تماماً مع المسيح، فإن صليبه كان القوة التي جذبت الكثيرين إليه ليتبَعوه فيستشهدون في سبيله. وقد قال المسيح: " وَأَنَا إِن ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ (يقصد موته مصلوباً) أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ" (يوحنا١٢ :٣٢) وهذا ما حدث فعلاً فانجذاب إليه الملايين عبر القرون.

قوانين الإيمان والممارسات: تؤكد **قوانين الإيمان** منذ بدئها أن المسيح صُلب في عهد بيلاطس البنطي وتألم وقُبر وقام ظافراً. والممارسات المسيحية منذ البداية **كالعشاء الرباني والمعمودية** كلها تؤكد ذلك، فهما رمز وذكرى لموت المسيح وقيامته.

وتغيير يوم العبادة من السبت إلى الأحد يعلن احتفال المسيحيين بقيامة مسيحهم من الموت بعد صلبه يوم الجمعة .

٧- هل توجد براهين على الصليب من خارج التوراة والإنجيل ؟

هناك براهين من غير المسيحيين على أن الصليب حقيقة تاريخية نذكر بعضها:

أولاً: شهادة اليهود (الذين صلبوه):

والاعتراف سيد الأدلة، القاتل معترف ولا يختلف معه القاضي ولا الشهود (كما في مثال المحكمة). لو أن الصلب لم يحدث لدافع الكهنة اليهود والحكام الرومان عن أنفسهم بأنهم غير مسئولين عن قتله. ولكننا نجد عند اليهود الأدلة التالية:

أ- جاء في التلمود: وهو أهم كتب اليهود الدينية بعد التوراة: "صُلب يسوع قبل الفصح بيوم واحد" (فصل السنهدرين ص ٤٢ لسنة ١٩٤٣ - طبعة أمستردام).

ب- فلافيوس يوسيفوس: وهو من أعظم المؤرخين في زمن المسيح، وكان قائداً للقوات اليهودية في الجليل سنة ٦٦م. وكتب تاريخهم في عشرين مجلداً قال: "كان يسوع الرجل الحكيم إن كان يحقُ لي أن أدعوه رجلاً، لأنه عمل أعمالاً عجيبة، وعلَّم تعاليم قَبِلها أتباعه بسرور فجذب لنفسه كثيرين من اليهود والوثنيين ...وحُكم عليه بالصلب بناءً على إلحاح قادة شعبنا. ولم يتركه أتباعه، لأنه ظهر لهم حيّاً في اليوم الثالث".

ج - الحاخام يوحنا بن زكا: وكان تلميذاً لهليل الشهير (صاحب أحد أكبر مدرستين في الفكر اليهودي وقت المسيح)، ومن هنا تنبع أهمية شهادته التي تطابقت مع شهادة فلافيوس يوسيفوس السابقة.

د - الحاخام العالم يوسف كلوزمر: كتب في العصر الحديث كتاباً عنوانه

"يسوع الناصري"، جاء فيه: "إن الأناجيل سجلات صحيحة، وأن يسوع الناصري عاش ومات وفقاً لها". وهذه هي شهادة تتفق مع شهادة العقاد في كتابه "حياة المسيح" ص ١٢٦ كما سبق وشرحنا.

ثانياً- شهادة المستندات التاريخية الرومانية:

بالإضافة لشهادة الجنود الرومان شهود العيان نجد الآتي:

أ - عثر عالم ألماني على الرسالة التي رفعها بيلاطس البنطي الذي حكم بصلب المسيح، إلى طيباريوس قيصر مبَـيِّـناً له فيها الأسباب والظروف التي دعت إلى ذلك، وأُودعت بمكتبة الـفاتيكان، (ونُشرت ترجمتها في مجلة Witness Tower Zeiroun في فبراير ١٨٩٢).

ب- اكتشف الجيش الفرنسي في البندقية سنة ١٢٨٠م صورة الحكم الذي أصدره بيلاطس وحيثيات الحكم على المسيح بالصلب.

ج - كرنيليوس تاسيتوس: وهو حاكم آسيا الصغرى سنة ١١٢م، وكتب يدين نيرون، وقال عن المسيح: "إنه قُتل في عهد بيلاطس البنطي (حاكم اليهود أثناء سلطنة طيباريوس)، وأمكن مبدئيا السيطرة على خرافته، ولكنها عادت وانتشرت لا في اليهودية فقط، حيث نشأ هذا الشر، بل في كل روما".

٣- شهادة فلاسفة الوثنيين ومؤرخيهم:

أ - لوسيان: (وهو مؤرخ يوناني ولد سنة ١٠٠م)، تحدث باحتقار عن المسيحية، وقال: "مات المسيح في فلسطين لأنه جاء بديانة جديدة للعالم، وقال لأتباعه إنهم إخوة، ورفضوا آلهة اليونان. وعبدوا السوفسطائي المصلوب" .

ب - تاسيتوس: (المؤرخ الشهير الذي ولد سنة ٢٥ م)، وتقلّد منصب القضاء، وكتب تاريخ الإمبراطورية الرومانية في ١٦ مجلداً. قال: " لُقّب الذين

كان نيرون يضطهدهم بالمسيحيين نسبة لشخص اسمه المسيح حكم عليه بيلاطس البنطي بالقتل في عهد طيباريوس قيصر ".

ج - كلسوس الفيلسوف الأبيقوري: (ولد سنة ١٤٠م)، وكان من ألد أعداء المسيحية، أيّد في كتابه "البحث الحقيقي" صلب المسيح، وقال ساخراً من الغرض من الصليب " احتمل المسيح آلام الصليب لأجل خير البشرية ".

(للمزيد راجع الملحق التاريخي رقم ١ لرسالة دكتوراه الفلسفة Ph.D. للدكتور داود رياض عن شرح كفّارة المسيح في بيئة عربية).

الفصل الرابع

١- هل هناك إشكالات منطقية حول صلب شبيه؟

في البداية دعونا نسأل: ما هو أصل فكرة أن شبيهاً صلب عوضاً عن المسيح؟ وهل هناك إشكالات حول هذه الفكرة؟

كانت هناك فكرة أو عقيدة في بعض الكتب الأبوكريفية(كالمُكتشفه في نجع حمادي) تقول إن المسيح لم يصلب لكن شبيهه قد صُلب مكانه. ويقول أحد العلماء: لقد اختلفت الروايات،فتارةً يُروى أن الله تعالى ألقى شبَهه على بعض الأعداء، الذين دلوا اليهود على مكانه حتى قتلوه وصلبوه، وتارة أخرى يُروى أنه رغّب بعض خواص أصحابه في أن يُلقى شبهه عليه فيقُتل مكانه.

أما عن الإشكالات المنطقية فهي كما أوردها الرازي، كما يلي:

الإشكال الأول: لو جوَّزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة، فإني إذ رأيت ولدي ثم رأيته ثانياً فحينئذ أجوّز أن يكون هذا الذي رأيته ثانية ليس بولدي، بل هو إنسان أُلقي شبهه عليه، وحينئذ يرتفع الأمان عن المحسوسات. ويقضي إلى سقوط الشرائع، وأيضاً فمدار الأمر في الأخبار المتواترة، على أن يكون المخبر الأول إنما أخبر عن المحسوس. فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات. كان سقوط خبر المتواتر أولى. بالجملة ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره إبطال النبوات بالكلية.

الإشكال الثانى: وهو أن الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام، بأن يكون معه في أكثر الأحوال. فهو مؤيد بالروح القدس، ثم إن طرف جناح واحد من أجنحة جبريل عليه السلام كان يكفى العالم من البشر. فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود عنه؟ وأيضاً المسيح لما كان قادراً على إحـــياء الموتى

(وإماتتهم)، وإبــراء الأكمة والأبرص، فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتى يصيروا عاجزين عن التعرُّض له؟

الإشكال الثالث: إنه تعالى كان قادراً على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء. فما الفائدة من إلقاء شبهه على غيره؟ وهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة؟ (ولو رفعه الله إلى السماء أمام الناس، وما ألقى شبهه على الغير، لبلــغت تلك المعجزة حداً بالغاً).

الإشكال الرابع: إنه إذا أُلقي شبهه على غيره، ثم إنه رُفع بعد ذلك إلى السماء، فالقوم اعتقدوا فيه أنه هو عيسى، مع أنه ما كان عيسى. فهذا كان إلقاءً لهم في الجهل والتلبيس. وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى. (وتلاميذ المسيح كانوا حاضرين، وكانوا عالمين بكيفية الواقعة، وهم كانوا يزيلون التلبيس).

الإشكال الخامس: إن النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها، وشدة محبتهم للمسيح عليه السلام، وغلوِّهم في أمره أخبروا أنهم شاهدوه مقتولاً مصلوباً. فلو أنكرنا ذلك كان طعناً فيما ثبت بالتواتر، والطعن في التواتر يُوجب الطعن في نبوة الأنبياء ووجود سائر الأنبياء، وكل ذلك باطل. (وفي الجواب على هذا الإشكال، يقول الرازى في الأسئلة التي ذكروها أمور تتطرق إليها الاحتمالات من بعض الوجوه!).

الإشكال السادس: إنه ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حياً زماناً طويلاً. فــلو لم يكن ذلك عيسى بل كان غيره، لأظهر الجزع، ولقال: لستُ بعيسى بل إنما أنا غيره، ولبَالغ في تعريف هذا المعنى. ولو ذُكر ذلك لاشتهر عند الخلق

هذا المعنى. فلما لم يوجد شيء من هذا علمنا أن ليس الامر على ما ذكرتم! وقد تختلف الآراء،أما هذا العالم فقد أصاب كبد الحقيقة في تفسيره عندما قال: «شبه لهم» - مسند إلى ماذا؟ إن جعلته إلى المسيح فهو مشبَّه به وليس بمشبَّه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يَجر له ذكر! (ويتفق تفسير الكشّاف للزمخشري مع الإشكالات المنطقية للرازى!)

ما هو معنى الوفاة في قواميس اللغة؟

أمام هذا التباين والاختلاف (حول وفاة المسيح وفكرة إلقاء شبهه على غيره) لابد من الرجوع إلى قواميس اللغة وإلى طرق التفسير كالقياس.

قواميس اللغة: في المصباح المنير: توفاه الله أماته، والوفاة الموت (ص ٦٦٧). ولا يختلف المعنى في القواميس الأخرى (مثل مختار الصحاح أو محيط المحيط) عن ذلك، فالوفاة تعني قبض الروح، وتُوفي فلان (على المجهول) تعني قُبضت روحه ومات. إذاً فأي نص يتكلم عن وفاة المسيح فلا يعني شيئاً سوى الموت.

القياس العقلي : يعتبر القياس العقلي واحد من أهم طرق التفسير، وهو طريقة منطقية لفهم ما غمض، فإذا ظهرت كلمة عدة مرات بمعنى ثابت، وتكررت في إحدى المرات بمعنى غامض، فيمكن القياس على المعنى العام مع دراسة القرينة الخاصة بالنص الذي به الكلمة الغامضة. وكل القرائن التي تتكلم عن وفاة المسيح تتكلم عن الموت الحقيقي!

وما هى روايه ابن كثير عن قتل الأنبياء؟

يقول ابن كثير عن قتل اليهود للأنبياء إن ذلك لكثرة إجرامهم (اليهود) واجترائهم على أنبياء الله ، فإنهم قتلوا جماً غفيراً من الأنبياء عليهم السلام.

ولكن ابن كثير لا يذكر اسماً واحداً من أسماء هؤلاء الأنبياء المقتولين.

ثم يقول ابن كثير إن اليهود حسدوا عيسى على ما آتاه الله تعالى من النبوّة والمعجزات الباهرات التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله، ويُصوّر من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه، بإذن الله عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها. وأجراها على يديه، ومع هذا كذّبوه وخالفوه... وسعوا إلى ملك دمشق (ليشتكوا عيسى).

ويضيف ابن كثير أنه كان في بيت المقدس رجلٌ يفتن الناس ويضلّهم، ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه، ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه عن الناس. فلما وصل الكتاب امتثل والي المقدس لذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى، وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر. وقيل سبعة عشر نفراً، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هناك. فلما أحس بهم، وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه: " أيكم يُلقى عليه شبَهي وهو رفيقي في الجنة؟" فتطوّع لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره على ذلك، فأعادها ثانية وثالثة. وكل ذلك لا يتطوع إلا ذلك الشاب، فقال: " أنت هو ". وأُلقي عليه شبَه عيسى، حتى كأنه هو. وفتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنةٌ من النوم فرُفع إلى السماء، .... قال: (الآية). فلما رُفع خرج أولئك النفر. فلما رأوا ذلك الشاب، ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل، وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه، وتبجّحوا بذلك، وسلّم لهم طوائف من النصارى ، فظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو

المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، (ويضيف البيضاوي يُقال إنه خاطبها)، والله أعلم. وهذا كله من امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة.

ونحن نسأل ابن كثير: إن كان الشبيه خاطب العذراء، فكيف لم تميّز صوت ابنها؟ وإن كان قد كلّمها فلماذا لم يستغث مستنجداً بها لتعلن أنه ليس المسيح؟ ويختم ابن كثير تعليقاته بقوله: " الله اعلم". فلماذا لم يسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم؟

أما ابن عباس فقال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه، وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين، فقال إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي [تعليقنا: غالباً ابن عباس يقصد إنكار بطرس ثلاث مرات]. وأضاف: ثم قال: " أيُكم يُلقى عليه شبَهي فيُقتَل مكاني، ويكون معي في درجتي؟" فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال له (المسيح): اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: " أنا " فقال: "هو أنت ذاك " فأُلقي عليه شبه عيسى، ورُفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء. وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشبيه فقتلوه ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به. وافترقوا ثلاث فرق، قالت فرقة: "كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء"، وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة:" كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه" وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: "كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه"، وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً " (رواه النسائي عن أبي كريب

عن ابن معاوية بنحوه، في تفسير ابن كثير).

ونحن نسأل إذا كان هذا الإسناد صحيحاً، فأين كانت تلك الفرقة المسلمة قبل الإسلام بستة قرون؟ وتعتقد الفرقتان أن المسيح هو ابن الله أو الله الظاهر في الجسد، بدون اختلاف. وكل من اختلف معهم فَهُمْ الهراطقة الذين رفضتهم المسيحية القويمة منذ القرون الأولى.

وأضاف الرازى، إن جاز أن يُقال: إن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة، فإنّا إذا رأينا زيداً فلعله ليس بزيد، ولكنه أُلقي شبهُ زيد عليه، وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والمُلك موثوقـاً به، وأيضاً يفضي إلى القدح في التواتر، لأن خبر التواتر إنما يفيد العلم بشرط انتهائه في الآخر إلى المحسوس. فإذا جوَّزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات جاز الطعـن في التواتر، وذلك يوجب القدح في جميع الشرائع، وليس لمجيب أن يجيب عنه.

<u>والحقيقة الظاهرة</u>: إن الرازي لم يجد جواباً قاطعاً ولا حلاً شافياً في آراء الذين يتشككون في صلب المسيح، فقال بالنص: "اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضع وذكروا وجوهاً ... وهذه الوجوه متعارضة متدافعة. والله أعلم بحقائق الأمور" (الفخر الرازي في تفسير النساء ٤:١٥٧).

ولو كان الله يقصد (كزعم بعضهم) أن يخلّص المسيح من الصلب لكان بالأولي خلَّصه بمعجزة ظاهرة قاهرة، ونجَّاه من أيدي اليهود مُظهراً عدم مقدرتهم على إيصال الأذى إليه. ولكن المعجزة التي يتوهَّمون إتمامها لتخليص المسيح لم تفد الفائدة المطلوبة، رغم ما فيها من غش لا يمكن صدوره من الله، لأن هذه المعجزة لم تُظهر لليهود قدرة الله، ولا أظهرت لهم عجزهم.

ولو أن الله رأى في الصليب إخلالاً بشرفه الأقدس، فهل يُعقل أن يُجري معجزة الشبيه التي تقيم الدليل على احتقاره فعلاً، مع أنه رفع المسيح إليه لينفي ذلك الاحتقار المزعوم؟

وقال البيضاوي رُوي أن رهطاً من اليهود سبّوه (يقصــد المسيح) وأمه، فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله... وألقى الله الشبه على آخر. فلما خرج ظُن أنه عيسى فأُخذ وصُلب. وقــيل كان رجل ينــافقه، فخرج ليدل عليه فــأُلقي عليه شبَهه، فأُخذ وصُلب وقُتل. وقيل لم يُقتل أحد لكن أرجف بقتله فشاع بين الناس. وقال قوم صُلب الناسوت وصعد اللاهوت". والبيضاوي لا يقول إنه اقتبس تفسيره من وحي الله، بل من أقوال الناس التي يختلف بعضها عن البعض الآخر، مما يدل على أنهم لم يعتمدوا فيها على مصدر حقيقي ثابت، بل على آرائهم الشخصية. ولذلك يمكن القول مع الرازي: "هذه الوجوه متعارضة متدافعة، والله أعلم بحقائق الأمور"، أي لكل من الناس عقيدته والله أعلم بالحقيقة. (فلنرجع إلى كلام الله).

هل توجد محاولات لمصالحة التفاسير المختلفة؟

هل يمكن أن نجد برهاناً على الصليب؟ وتأييداً للحقيقة التاريخية التي يشهد لها التاريخ والكتاب المقدس؟ (بالإضافة لما سبق) وللإجابة عن هذا السؤال الأخير نبحث المحاولات التالية لمصالحة التفاسير المتخالفة:

التفسير الأول: إن اليهود ما قتلوا المسيح وما صلبوه بأنفسهم، لأنهم كانوا تحت الحكم الأجنبي، وقالوا للوالي الروماني: "لا يَجُوزُ لَــنَا أَنْ نَقْتُل أحَدًا " (يوحنا ١٨ : ٣١). فهم بأنفسهم لم يقتلوا المسيح، بل الرومان هم الذين قاموا بقتله. وخلاصة الفكرة «ما قتل اليهود المسيح».

التفسير الثانى: إن صلب المسيح (وإن يكن قد تمَ بيد بشرية أثيمة)، ولكنه ما كان ليتم ويُنفَّذ إلا بمقتضى مشورة الله ومحبته للبشر. «فما قتله اليهود وصلبوه» ولكن الله بذله فداءً ورحمة للعالمين ثم رفعه إليه.

التفسير الثالث: بديهي أن اللاهوت لا يموت، فنحن نؤكد عدم موت المسيح باعتبار لاهوته، ولكننا نؤمن بصلبه وموته باعتبار ناسوته. قال البيضاوي، في شأن موت عيسى عليه السلام: إنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس، فقال بعض اليهود إنه كان كذاباً فقتلناه حقاً. وقال قوم: صُلب الناسوت وصعد اللاهوت.

التفسير الرابع : هذه الفكرة اعتراف صريح من اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، وهي تضرب بكبريائهم عرض الحائط، لأنها تبين أنهم رغم صلبهم للمسيح لم يصلوا إلى هدفهم المنشود، ولم ينالوا غرضهم المطلوب، إذ أقامه الله، وفوّت عليهم ما قصدوه به من إعدام. وما ظهر لهم في صلبه أنه الهزيمة الساحقة له والنصرة الكاملة لهم، كان مجرد ظنّ، فشُبه لهم "أمر القتل"، كما أسنده البيضاوي في بعض تأويلاته، وتصوّروا أنهم أحكموا الكيد له، ولكن ذهب كيدهم وطاش سهمهم، إذ عاد المسيح حياً ورفعه الله إليه، فعظُم شأنه. وانتشرت تعاليمه، وجعل الله الذين اتّبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة إذن شبه لليهود أنهم قتلوه لكنه قام منتصراً، وهو حيّ في السماء.

التفسير الخامس يمكن القول لرافض فكرة الصليب إن هذه الفكرة تتحدث عن آثار الصَّلب ونتيجته. فإن اليهود لم يحققوا غرضهم من موت المسيح، لأن الله رفعه إليه بالقيامة من الموت ثم بالصعود. وفكرة نفي الأثر والنتيجة، لا التاريخ والحقيقة، عقيدة عربية في الحرب، عندما نحسب الشهيد

إنه ما زال حياً. فالشهداء ماتوا فعــلاً، لكن هدف قتلهم لم يتحقق، لأنهم أحياء عند ربهم. فــالشهيد تاريخياً مات، ولكننا نحسبه حيــاً لأنه كذلك عند الله.

فلولا موت المسيح لما أُعلنت نصرته على الموت بالقيامة (بالطبع لم يكن المسيح شهيداً، فقد بذل نفسه طوعــاً وهو يعلم مسبقاً بطريقة موته).

ويمكننا أن نقول إنه بسبب هذا الموت الجسدي أعلنت قيمة فداء المسيح، فإماتته لم تحقق غرض اليهود منها، بل على العكس فإن موته الجسدي أعلن عظمته الروحية، فــهو حيّ عند الله. وهكذا نرى أن إنكار الصلب ينصبُّ على آثار الصلب ونتيجته، وليس على الحقيقة التاريخية، التي لا يمكن أن تُنسخ. فالنسخ أو الإلغاء للأحكام وليس للتاريخ.

هل من أدلة عقلية (خارجية) تؤكد موت المسيح؟

نقدم في نهاية هذا الفصل دليلين عقليين، لا يدعان مجالاً للشك أن المسيح صُلب وقام. وهما: أولا: القبر الفارغ. ثانيا: كفن المسيح.

أولا: القبر الفارغ

المقصود منه قبر المسيح الذي دُفن فيه بعد صلبه، فقد خلا من جسده بعد دفنه بثلاثة أيام. ولا يوجد تفسير معقول لهذا إلا في نصوص الإنجيل.

إن خلوّ قبر المسيح من جسده هو من أقوى الأدلة على القيامة. ولم يستطع مؤرخ عادل أن ينكر حقيقة فراغ القبر. فلقد ربح تلاميذ المسيح كثيرين آمنوا بالمسيح رغم عداوة السامعين، بعــد أن أعلنوا خبر القيامة وهم على بُعــد قريب من القبر، بعــد أيام قليلة من خلوّ القبر من الجسد، وقريب من المكان الذي أُودع فيه. وكان يمكن لمن يشاء من السامعين أن يذهب إلى القبر الفارغ ليتأكد بنفسه. فهل كان من الممكن أن يربح التلاميذ كل

هؤلاء، لو أن جسد المسيح كان مسجى في قبره؟

وهل يمكن أن يقبل الكهنة والفريسيون وقـادة اليهود ما أعلنه التلاميذ لو لـم يكن القبر فارغاً فعلاً؟! إن حقيقة قيامة المسيح ما كان يمكن أن تعلن في أورشليم لو لم يكن المسيح قد مات وقـام فعلاً (راجع أع٢: ٣٦-٣٨).

وما هو موقف البعض من قضية القبر الفارغ؟

لم تحظ قيامة المسيح من بين الأموات رغم خطورتها وأهميتها باهتمام الباحثين الإسلاميين، ولم يصل إلى علمنا أن أحداً من المسلمين المهتمين بعلم مقارنة الأديان - على كثرتهم - قد استقلّ ببحث قدَّم فيه حلاً للغز القبر الفارغ. الذي يمكن صياغته كما يلي:

لو أننا سايرنا الرافضين في اعتقادهم أن الصلب قد وقع تاريخياً، ولكن على إنسان آخر شبيهٍ بالمسيح، فإن على الرافضين أن يسايرونا أيضاً في أن هذا المصلوب نزل من على صليبه ودُفن. ومن هنا تبدأ قضية القبر الفارغ، فإن التاريخ يؤكد لنا أن تلاميذ المسيح ذهبوا إلى القبر في اليوم الثالث فوجدوه فارغاً، وأن الحجر الضخم الذي كان يسدّ باب القبر وخُتم بالخاتم الروماني قد زُحزح.

وبناءً على هذا فإن الرافضين عندما أنكروا صلب " يسوع " وجب عـليهم أن يجيبوا على سؤالين:

١-أين ذهب جسد المصلوب، - أياً كان الشخص المدفون فيه؟

٢- ومن الذي دحرج الحجر الضخم الذي كان يسدّ باب القبر، رغم وجود حراسة الجنود الرومان المشدَّدة ؟ (ارجع لكتاب "منْ دحرج الحجر؟" لكاتبه المحامي فرانك موريسون) .

قال أبو زهرة في كتابه "محاضرات في النصرانية": " لم يبيّن المفسرون ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه ووفاة عيسى أو رفعه – على الخلاف في ذلك – ولا إلى أين ذهب ... وليس عندنا مصدر صحيح يُعتمد عليه. فلنترك المسألة ونكتفي باعتقادنا اعتقاداً جازماً أن المسيح لم يُصلب. ولكن شُبّه لهم".

وقال أحدهم: "إن قضية القبر الفارغ لا ناقة لنا فيها ولا جمل، فإن الأمر قد حُسم بالقول: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ". أما البحث عمّن دحرج الحجر، وما مصير الجسد المصلوب، فهذا من شأنه الاعتراف الضمني بالصلب الذي ننفيه. (راجع كتاب "من دحرج الحجر" لـ فرانك موريسون).

وقضية القبر الفارغ لا يمكن أن تُحل بطريقة سليمة، لأن القضية المطروحة الآن ليست قضية " مَنْ صُلب؟ " فهذه مسألة مُختلفة، وقد عالجناها. لكن القضية الحالية هي قضية جسد " الشبيه ". فإن إجماع المؤرخين بمن فيهم من معترضين على وقوع حادثة الصلب قد دفع بالتساؤل عن مصير الجسد الذي صُلب، وأصبح إيجاد تفسير لخلوّ القبر، من الجسد في اليوم الثالث من دفنه، ضرورة يحتمها الحوار الهادف.

هل هناك بديل للقول إن المسيح جاء ليخلص الخطاة، وليقوم بالفداء؟ لقد صار نائباً عن البشر ودفع الدَّيْنَ كله عنهم، ليرفع وزر الخطية. ومن خصائص فداء المسيح أنه لا يكتفي برفع الخطية عن الإنسان، بل إنه يشفيه منها. فكل من يقبل المسيح تتجدد حياته وتتغيَّر فيصبح إنساناً جديداً. "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول: أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا " (١تيموثاوس ١:١٥).

ثانيا: كفن المسيح

هذه دراسة تعدّ علمية موثّقة، تؤكد وقوع حادثة صلب المسيح، وقد وقّع عليها أكثر من أربعين عالماً في مختلف فروع العلم، من بلاد متفرّقة كأمريكا وفرنسا وسويسرا والنمسا وإنجلترا. ولم تموّل أية هيئة مسيحية هذه الدراسة، بل درس هؤلاء العـلماء الكفن للبحث العلمي وحده، ودرسه بعضهم لتفنيد رأي الكنيسة. وكان بعضهم يقرأ الإنجيل ليجد فيه دليلاً على عكس ما تنادي به الكنيسة. كما حدث مع فرانك موريسون .

كفن المسيح محفوظ بكاتدرائية يوحنا المعمدان بمدينة تورينو بإيطاليا. وفي البداية رفضت السلطات الكنسية أن يفحص أحدٌ من العلماء هذا الكفن. وكان هذا لحكمة إلهية، حتى يأتي السماح بهذا العمل في وقت تتوفر فيه الإمكانيات العلمية الحديثة. ويرى الباحثون توافقاً كاملاً بين أوصاف كفن تورينو وما جاء في الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح، ونلخص في الجزء التالي ما تم نشره في الكتب مثل "كفن المسيح" أو "الآم السيد المسيح"، وغيرهما وفي النهاية نسجل رأينا في تعليق ختامي.

فالكفن عبارة عن قطعة واحدة من الكتان الأبيض، طوله حوالي أربعة أمتار وربع المتر، وعرضه متر وربع المتر، وفي الكفن صورة أمامية وأخرى خلفية لإنسان طوله ١٨١سم والصورة سلبية (نيجاتيف Negtive) وهو وضع مستحيل، فلا يمكن لأي فنان أن يرسم صورة "نيجاتيف".

ولا توجد حدود للصورة لأن التصوير لم يُعرف إلا منذ مائة عام تقريباً. وبناء على طول الكفن، وعلى حبوب اللقاح العالقة به قال علماء الأجناس إنه لإنسان طويل القامة من شعوب البحر المتوسط.

ولقد تعرّض الكفن للحريق سنة ١٥٣٢م نتيجة حرق الكنيسة كلها، واحترق الصندوق الذي يحتوي على الكفن، ولكن الكفن نفسه لم يتأثر إلا باحتراق طفيف في أطرافه، وقد بحث العلماء عن نوع الأصباغ التي يمكن أن تكون الصورتان قد رسُمتا بها، ولكنهم لم يجدوا أي نوع من الأصباغ، فالصورة موجودة لأكثر من فتلة واحدة في النسيج. قال علماء التشريح والطب الشرعي إن الصورة التي للإنسان الذي وُضع في الكفن تدل على أنه في الثلاثينيات، كان يؤدي عملاً يدوياً شاقاً: عرفوا ذلك من الآثار التي في اليدين. وقالوا إن الكتف الأيمن مرتخٍ عن الكتف الأيسر نتيجة العمل باليد اليمنى. وكانت رجله الشمال موضوعة على رجله اليمين، والمسمار في المشط بين السلامية الثانية والثالثة. والمسمار الذي سُمّر في اليدين ليس في الكف بل في عظام الرسغ. والعظام لم تكسر (حسب النبوات)، وعلى رأسه تاج عبارة عن طاقية شوك مغروسة، كانت آثارها من الجبهة حتى قمة الرأس. وآثار الدماء على الوجه تأخذ منظراً متعرجاً نتيجة تقلّص عضلات الوجه بسبب الآلام الشديدة. وقال العلماء إن الكفن لإنسان صُلب، فقد شاهدوا سير الدماء في اليدين. وقاسوا الزاوية بين الرأس وبقية اليد فوجدوها ٦٥ درجة، ووجدوا أن الكتف فيه آثار حمل الصليب، وتوجد كدمات كثيرة جداً في الوجه وأجزاء متورمة، كما يوجد قطع على شكل مثلث في الخد الأيمن من كثرة اللطم.

أما الجراحات الموجودة بالظهر فكانت في شكل دائرتين غائرتين متصلتين ببعضهما نتيجة الضرب بالسياط. ثم بحثوا عن أنواع السياط التي جُلد بها فوجدوا أنه سوط روماني مثل العينات المحفوظة منه بالمتاحف، وهو سوط ذو ثلاث شُعب، تنتهي كل شعبة بقطعتين معدنيتين.

وقالوا إن هذا الإنسان تناوب على جَلْده اثنان، وكان الذي يضرب من جهة اليمين أطول من الذي يضرب من جهة الشمال، والضارب القصير من جهة الشمال كان قاسياً لأن ضرباته تركت أثراً أعمق من الضارب في جهة اليمين.

وهناك فتحة في الجنب الأيمن سالت منها كمية دماء كبيرة، يشبه شكلها مقدَّم الرمح الروماني، كورق الشجرة، والفتحة بمَيْل وموجودة بين الضلعين الخامس والسادس. وهناك آثار ماء سائل، قال بعض العلماء إنه من السائل المحيط بالقلب، لكن كميته قليلة، (والمسافة بين القلب والغشاء المحيط به قد تزداد من نصف مليمتر إلى نصف سنتيمتر في حالة الإجهاد الشديد جداً).

وقالوا إن القلب يمكن أن يفرز إفرازاً أكثر نتيجة للإجهاد الكثير. وهناك رأى ثانٍ لفريق آخر من العلماء قال إن هذا الماء من السائل المحيط بالرئتين، ويمكن أن تزداد كميته نتيجة الشد العضلي. ومهما كان الرأي الأرجح، فالمهم أن الكل يتفق على وجود ماء نزل مع الدم كما يقول الإنجيل.

موطن الكفن

يقول علماء النبات إنه يمكن معرفة موطن صاحب هذا الكفن بفحص حبوب اللقاح اللاصقة بقماش الكفن، ويُقاس حجمها بواحد من المليون من المليمتر، ولا تُرى إلا بالميكروسكوب الإلكتروني. وقد أخذوا بعض التراب اللاصق بالكفن ودرسوه لمدة ثلاث سنوات لمعرفة النباتات التي تتبعها حبوب اللقاح، وأين تنمو؟ فوجدوا أن هذا النبات كان موجوداً في مرسيليا، وباريس، والقسطنطينية، وقبرص، وصور، وصيدا. لكن إلى جانب ذلك وجدوا مجموعة من حبوب اللقاح لم يتوصلوا إلى حقيقتها ولا إلى مكان وجودها. وأقام أحد العلماء لمدة ســتة شهور في أورشليم . وهناك وجد النباتات التي لا تنمو إلا

فيها، والتي تتبعها حبوب اللقاح التي كانت موجودة في كفن تورينو.

عُمْر القماش

بحثوا أيضاً عن عمر قماش بواسطة تجربة الكربون ١٤ المشع، فوجدوا أنه يرجع لحوالي ألفي سنة.

أما عن صورة وجــه المسيح المطبوع فلا تتَفق مع ما رسمه فنانو أوربا، ولكنهم وجدوا تطابق الرسوم الموجودة في الكنائس الشرقية التي رُسمت في قرون المسيحية الأولى. وأقـرب الصور إليها هي صورة رسمها كيرلس الكبير البطريرك الإسكندري الرابع والعشرون في القرن الخامس، وصورة أخرى في كنيسة " أيا صوفيا"، وثالثة في إحدى كنائس سورياً.

غياب البُعـد الثالث

أي صورة لها بُعـد ثالث، ماعدا صورة الكفن فليس لها بُعد ثالث، رغم استعانة العلماء بأجهزة البحرية الأمريكية شديدة الدقة، والصورة بلا رسم ولا أصباغ، قالوا: ربما تعرَّض هذا الكفن لإشعاع مُعيَن لكن علماء الطاقة الذرية نفوا معرفتهم لإشعاع يطبع الصورة. وأخيراً قالوا إنه يُحتمل أن هذه الصورة تكون قد تكونت نتيجة خروج شعاع ما، وقت قيامة المسيح. (راجع كتاب "الكفن المقدس" لأي كاتب، فالكل متفق على الحقائق السابق ذكرها).

تعليق: أشاع البعض أن الكنيسة أوقفت البحث في موضوع الكفن لأنه ليس للمسيح! ومهما كان، فإننا لا نبني إيماننا على مجرد وجود الكفن. فحقيقة موت المسيح وقيامته أرسخ من أية حقيقة تاريخية أخرى. فلو لم يكن كفن تورينو خاصاً بالمسيح فهذا لا ينفي موت المسيح وقيامته. وهنا أطلب إلى القارئ الكريم أن يجلس في هــدأة غرفته ويفكر تفكيراً رزيناً جدّياً

مسترشداً بالله ليوضح له الحقيقة، وليهديه للمعرفة الحقة للمسيح، فهو الطريق إلى الله وهو الحق وهو الحياة الأبدية فليس بأحد غيره الخلاص من الخطية

ملاحظة : أرجو أن يرجع القارئ إلى كتاب "منْ دحرج الحجر؟" فكاتبه فرانك موريسون قام ببحث دقيق في الوثائق والمخطوطات القديمة، في محاولة لدحض تاريخية القيامة، ولكن الله قاده لما سجّله في ذلك الكتاب، بعد أن أبحرت سفينة حياته على عكس ما اشتهي في البداية، فانتقل من الشك إلى الإيمان.

المسابقة

عزيزي القارئ، إن أرسلت لنا إجابتك الصحيحة نرسل لك كتاباً جائزة.

١- كيف دخلت الخطية إلى العالم؟ ولماذا أجرتها موت؟

٢- ما معنى كلمة كفارة للخطية؟ ولماذا نعجز عن أن نكفر عن خطايانا؟

٣- ما هي شروط الفادي القادر أن يُكفر عن خطايا البشر؟

٤- كيف قدم الله العلاج؟

٥- اذكر بعض نبوات التوراة عن الصليب.

٦- ما هي شهادة المسيح عن الصليب؟

٧- اذكر بعض الشهادات الأخرى عن الصليب.

٨- اذكر بعض البراهين من خارج التوراة والإنجيل.

٩- اشرح الإشكالات المنطقية حول صلب شبيه للمسيح.

١٠- كيف نصالح التفاسير المختلفة؟

١١- اشرح بعض الأدلة العقلية (الخارجية) التي تؤكد موت المسيح.

١٢- هل لك اختبار شخصي عن صليب المسيح كحلم أو رؤية أو غيره...؟

ارسل الإجابة فقط بدون تعليقات أخرى لئلا تهمل، ونحن بانتظار إجابتك.

المراجع

١) الأخ عوض سمعان، " كفَارة المسيح" و " فلسفة الغفران ".

٢) اسكندر الجديد، " الخطية والكفارة" و "الصليب في الإنجيل والقرآن".

٣) د .عبد الفادى، "الخطية وحتمية الكفَارة".

٤) د .عبد الفادى، "شخصية المسيح".

٥) د. عبد الوهاب النجار، " قصص الأنبياء ".

٦) د. خليل عبد الكريم، "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية".

٧) د. سان كلير تسدل، " تنوير الأفهام في مصادر الإسلام" .

٨) المحامي فرانك موريسون، "منْ دحرج الحجر؟ ".

٩) عباس محمود العقاد، "عبقرية المسيح" .

١٠) د.ق. منيس عبد النور، "اللاهوت النظامي" راجعه ونقحه وأضاف إليه.

١١) د.ق. منيس عبد النور، محاضرات "لاهوت الدفاع عن الإيمان"، كلية اللاهوت العباسية.

١٢) د. فريز صموئيل، " صلب المسيح حقيقية لا أفتراء".

١٣) "الكفن المقدس"، و"آلام السيد المسيح". مطرانية المنيا سنة ١٩٨٣م.

١٤) التلمود (فصل السنهدرين ص ٤٢) لسنة ١٩٤٣ – طبعة أمستردام .

١٥) قاموس البستاني، و " المصباح المنير، ومختار الصحاح، ومحيط المحيط ".

١٦) أ. د. داود رياض، رسالة دكتوراه عن تفسير كفارة المسيح (Ph D/ ICS).

١٧) تفسير ابن كثير.

١٨) التفسير الكبير للرازي.

١٩) تفسير الكشاف للزمخشري.

٢٠) تفسير البيضاوي .

٢١) تفسير الجلالين.

٢٢) صحيح البخاري (تقسيم د. مصطفى ديب البغا).

٢٣) الأحاديث الصحيحة "مشكاة المصابيح".

٢٤) الإمام محمد أبو زهرة " محاضرات في النصرانية ".

الخلاصة

يبحث الإنسان فى حياته عن أمور مادية كثيرة، لكنها لاتعطيه إلا شبعاً مؤقتاً، لكن عندما يبحث عن الشبع الروحى العميق فإن غاية مايتطلع إليه هـو الحصـول على الغفران ليكون فى سلام حقيقي مع الله. ويتفرد الفكر المسـيحي بـأن الله يحب الإنسان محبة غير مشروطة، فهو يحب الجميع حـتى الخطـاة، هكذا أحب الله العالم حتى بذل المسيح فدية وكفارة لفداء البشرية (يو ٣:١٦).

وفى محبة الله الفردية لكل إنسان يعطية الفرصة أن يصبح ابناً روحياً لله (يـو ١:١٢)، ليس هذا فحسب، بل إن روح الله القدوس يؤكد للإنسان غفـران خطايـاه، والنتيجة الطبيعية أن الإنسان يصبح فى سلام مع الله، وهى قمة السعادة الحقيقية عندما يتأكد الإنسان أن الله فى محبته يؤكد له غفران خطاياه ويرتضي أن يقيم علاقة روحية معه، لاتعطيه الشبع الروحى فى هـذه الحيـاة فحسب بل فى الحياة الآخرة، وهى قمة وغاية ما بعدها غاية.

ويقـدم هذا الكتاب الإجابة على أهم التساؤلات حول الكفارة، ولماذا كـانت الكفارة أمراً حتمياً؟ وما هو المطلوب لغفران الخطية؟ ولماذا تعجز أعمالـنا عـن تحقيق الكفارة والغفران؟ وما هي درجة القداسة المطلوبة لـلوجود فـي حضـرة الله؟ وما هي حتمية كفارة المسيح؟ وكيف قدم الله العلاج عندما عجز البشر عن التكفير عن خطاياهم بأنفسهم؟

وعـندما قدمـت الأدلـة النقـلية على صلب المسيح، وشهادة التوراة والإنجيل، والبراهين التاريخية والنقلية بالتواتر (النقل الشفوي) والأدله من

خلال المستندات الرومانية وغيرها لم أقصد إثبات موت المسيح، فهو حقيقة تاريخيـــة أثبت من التاريخ نفسه، لكن تقديم الأدلة المادية قد يساعد الإنسان ليفكر، لكنه فى النهاية لايستطيع أن يقول إن المسيح هو الرب والمخلص إلا بعمـــل روح الله القـــدوس (١كو١٢: ٣)، والمسيح نفسه قال إنه إن ارتفع (مقدمـــاً نفسه فدية وكفارة على الصليب) يجذب إليه الجميع (يو١٢ :٣٢)، وبالفعل لقد جذب إليه الملايين بل والبلايين.

وعـــندما قدمـــت الأدلة العقلية من ناحية الإشكالات المنطقية، وشهادة بعـــض العلماء غير المسيحيين، مع تناول سريع لقضية القبر الفارغ والكفن المقدس كإثباتات باقية لليوم، لم أكن إعتمد على الأدلة العقلية كالدليل الوحيد لإثـــبات الموت الكفارى للمسيح، فنحن نعتمد على الإيمان أكثر من أي دليل منطقي عقلي. وطوبى للذين آمنوا ولم يروا.

وأصلى إلى الله أن ينجح هذا الكتاب في هذه الصورة المُبسطة بطريقة واضحة كافية للإجابة على أهم التساؤلات حول لزوم كفارة المسيح كالطريق الوحيد للمصالحة مع الله.

وإن كان لديك أسئلة أخرى أو استيضاحات أرسلها إلينا أو إلى كنيستك.

عنواننا ٧ ش الشيخ ريحان – جاردن سيتي– القاهرة

الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة.

هذا الكتاب

هذا الكتاب يُبسط الإجابة على السؤال الأساسي: لماذا كانت الكفارة أمراً حتمياً؟ ويقدم الإجابةعن ماهية الخطية، ولماذا أجرة الخطية موت؟ وهل هناك دواء للخطية؟ ولماذا العلاج من خلال الكفارة؟
ماهو المطلوب لغفران الخطية؟ ولماذا تعجز أعمالنا عن تحقيق الكفارة والغفران؟ وما هي درجة القداسة المطلوبة للوجود في حضرة الله؟ وكيف قدم الله العلاج عندما عجز البشر عن التكفير عن خطاياهم؟

وهل توجد أدلة نقلية على صلب المسيح؟ وما هي شهادة التوراة والإنجيل؟ وهل من براهين أخرى تاريخية ونقلية بالتواتر (النقل الشفوي)؟ وهل من أدلة أخرى من خلال المستندات الرومانية و

أما الفصل الأخير فيقدم الأدلة العقلية من ناحية ال المنطقية، وشهادة بعض العلماء غير المسيحيين، مع تناو لقضية القبر الفارغ والكفن المقدس كإثباتات باقية لليوم. ولكن أساسًا على الإيمان، فطوبى للذين آمنوا ولم يروا.